وزارة الثقافة والمحافظة على التراث

أقاصيص

زين العابدين السنوسي

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المهـــاجر

(مجمـــوعة قصصيـــة)

إعداد وتقديم :

محمد الهادي بن صالح

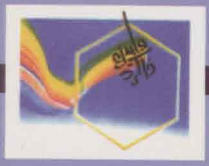

سلسلة «ذاكرة وابداع»

المركز الوطني للإتصال الثقافي

دار الكتب الوطنية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

أقاصيص زين العابدين السنوسي : المهاجر (مجموعة قصصية)

المؤلف : زين العابدين السنوسي
إعداد وتقديم : محمد الهادي بن صالح
تاريخ النشر : 2008
الناشر : وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، المركز الوطني للاتصال الثقافي
مكان النشر : تونس
اللغة : العربية
الوصف المادي للوثيقة : 144 ص. ؛ 21 سم.
ردمك (ISBN): 978-9973-910-28-8
السلسلة : ذاكرة وإبداع ، عدد 26
الموضوع : أعمال وتراجم زين العابدين السنوسي
تصنيف ديوي العشري : 928
المفاتيح : أعمال، تراجم، أدباء تونسيون، زين العابدين السنوسي، أقاصيص، القصة القصيرة، الأدب التونسي المعاصر، مختارات أدبية، الحركة الإصلاحية، الحداثة، النهضة الأدبية والفكرية في تونس، المكتبة الوطنية التونسية، الخلدونية الرقمية، الانسانيات الرقمية.

A-8- 174179

دار الكتب الوطنية التونسية © كافة الحقوق محفوظة

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

A-8-174 179

وزارة الثقافة والمحافظة على التراث
المركز الوطني للإتصال الثقافي

سلسلة "ذاكرة وإبداع"

دار الكتب الوطنية
توثيق والاعلام
رقم: 50
11 AVR 2008

المهـــاجر

(مجموعة قصصية)

347196

تأليف : زين العابدين السنوسي

إعداد وتقديم : محمد الهادي بن صالح

وزارة الثقافة والمحافظة على التراث

سلسلة "ذاكرة وإبداع"

الكتاب عدد : 26

سلسلة فصلية ينشرها

المركز الوطني للاتصال الثقافي

إدارة : أ. بو بكر خلـــوج

يشرف عليها : أ. عبد الوهاب الدخلي

يتابعها : فتحي اللواتي

العنوان : المهـاجر

تأليف : زين العابدين السنوسي

إعداد وتقديم : محمد الهادي بن صالح

الطبعة الأولى : 2400 نسخة

(جانفي 2008)

الانجاز الفني : ميديا غرافيك - تونس -

المطبعة : سوتيبا غرافيك - تونس-

جميع الحقوق محفوظة

ر.د.م.ك : 978 - 9973 - 910 - 28 - 8

BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

تقديـــم

ينشر المركز الوطني للاتصال الثقـافي هـذه الدفعة من أعمال الأديب المرحـوم زيـن العابـدين السنوسي وهي مجموعة الأقاصـيص التـي كتبهـا المؤلف ولم تأخذ حظها في النشر رغـم أنهـا مـن التجارب الأولى التي عرفتها القصة القـصيرة فـي تونس.

بنشر هذه الأقاصيص يأمل المركز أن ينـال المرحوم اهتمام الباحثين والدارسين فـي مجـالات أخرى، وهي عديدة، كالأدب والـصحافة والترجمـة والمسرح تحمل كلها بصمات رجـل عـاش بـالفكر وللفكر، في عصر الشّـابي والحدّاد وتـرك آثـارا غزيرة وعينات مضيئة في تاريخ الفكر التونسي فـي خطواته الأولى نحو الحداثة.

د. بوبكر خلوج
مدير المركز الوطني للاتصال الثقافي

صـور نـــادرة

للمرحوم زين العابدين السنوسي

تحمل تعاليق بخطه.

هذه الصور مهداة من طرف أرملته

السيدة كلثوم بنت محمد بن إسماعيل

وابنه محمد زين العابدين السنوسي

فلهما جزيل الشكر.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

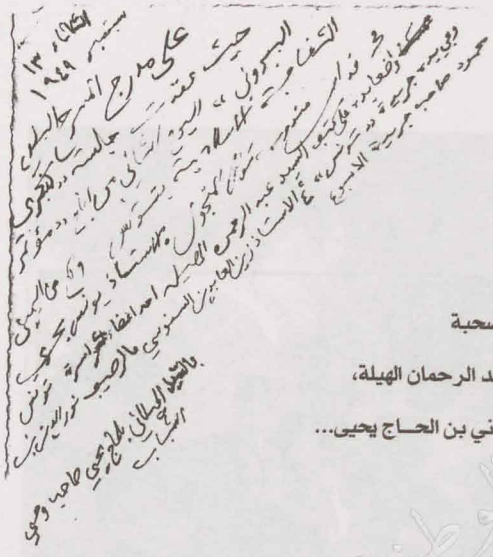

صورة تذكارية

على مدارج المسرح البلدي

تمثل زين العابدين السنوسي صحبة

رفاقه ومنهم يونس بحري، عبد الرحمان الهيلة،

نور الدين بن محمود، الجيلاني بن الحاج يحيى...

المرحوم زين العابدين السنوسي صحبة الزعيم الحبيب بورقيبة

وبعض أعضاء الحزب الدستوري في مائدة تكريم ببنزرت سنة 1949

عندما يتقابل رائد الفكر العربي ميخائيل نعيمة
وفيدوم الصحافيين التونسيين زين العابدين
السنوسي لا يخرج الحديث بينهما عن الأدب
والفكر والذكريات

" عندما يتقابل رائد الفكر العربي ميخائيل نعيمة

وفيدوم الصحافيين التونسيين زين العابدين

السنوسي لا يخرج الحديث بينهما عن الأدب

والفكر والذكريات. "

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

زين العابدين السنوسي

(حياتـه وآثـــاره)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

1 ـ هـويّته

ما من إنسان له أثره في مجتمعه إلاّ وكان لمجتمعه فيه أثر. فالزّمن الفعلي لوجود أيّ إنسان ـ عظم شأنه أو صغر ـ يعكس مدى تفاعله وتأثيره بواقعه.

والمجتمعات بسلوكها إزاء الأفراد، هي الّتي تحدّد سماتهم وملامحهم وعلاماتهم ونوعيّتهم ومدى أهمّيتهم من خلال ممارساتهم وردود فعلهم، وبذلك تكون فاعليّة هؤلاء سلبا وإيجابا.

فأيّة دراسة موضوعيّة لأيّ علم هام في أيّ مجتمع تنطلق أساسا من وضعه الاجتماعي.

والأمر لا يختلف عند دراسة النّخبة في أيّ بلد كان سواء كانت هذه النّخبة سياسيّة أو فكريّة.

فزين العابدين السّنوسي، واحد من هؤلاء النّخبة، أحد المبدعين العباقرة، قد عاش كامل النّصف الأوّل من القرن العشرين وجزء هاما من النّصف الثّاني لهذا القرن أيضا. وقد شهد أهمّ

اضطرابات وتقلّبات عرفها تاريخ البلاد وتاريخ العباد أيضا. لقد واكب استعمار البلاد مدّة ثمانيّة وخمسين سنة من عمره الّذي لم يتجاوز السّابعة والسّتين، وعمر الاستعمار الّذي دام خمسة وسبعين سنة. وعاش مآسي حربين عالميّتين كان لهما أسوء الأثر في حياة كلّ الشّعوب. لقد ذاق كلّ ما يمكن لإنسان أن يذوقه من استلاب وتعسّف وقمع وجبروت وإرهاب، وواكب كلّ التّقلّبات الفكريّة والسّياسيّة الّتي شهدها زمانه منذ أواخر القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر بإحساس مرهف وعمق شديد.

فالتّجربة الّتي حصلت له كانت من الأهمّيّة بمكان. لقد رفض الفكر السّلفي، ورفع شعارات الحداثة ودعا إلى ثقافة جديدة قوامها الانفتاح والتّحرّر ونبذ كلّ عقليّة متزمّتة. فكان قطبا من أقطاب الحركة الفكريّة في تونس. بل أعتبره شخصيّا أحد القطبين، اللّذين أثّرا تأثيرا بالغا في الحياة الفكريّة الحديثة بتونس منذ بداية القرن إلي يوم النّاس هذا، وكان أحدهما في الفكر الاجتماعي وهو الطّاهر الحدّاد،

وثانيهما في الفكر الأدبي وهو زين العابدين السّنوسي، رغم ما تعرّض له هذا وذاك من حيف واضطهاد.

والأكيد أنّ أثر الواحد منهما في الآخر كان كبيرا جدّا ويكفي أن نعلم أنّ زين العابدين السّنوسي كان أوّل من نشر كتابا للطّاهر الحدّاد بمطبعة العرب؛ وهو كتاب "العمّال التّونسيون"، بطبعته الأولى، إضافة إلى ما نشر له من شعر سواء بجريدة "البدر" أو بكتابه "الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر" أو بمجلّة "العالم الأدبي" الّتي كان المسؤول وصاحب الامتياز فيها.

ويكفي أن نسوق شهادة الشّاعر أبو القاسم الشّابي الّتي وردت بمذكراته حتّى ندرك حماس زين العابدين السّنوسي للفكر التّونسي، ومواقفه في هذا الضّرب لا تحصى ولا تعدّ. لقد كتب الشّابي قائلا:

"...وناولته رسالة الحليوي، وسألته أن تنشر في هذا العدد من "العالم" فقال: "لقد سلّمنا لصاحبك تسليما أعمى، رغم أنّنا لا نعرفه، وعلى كلّ فسننشرها رغم طولها لأنّها تتعلّق بكتابك. ثمّ عقّب على ذلك باسما: ولا تحسب أنّ كونها في كتابك هو الّذي جعلني اغتفر ما فيها من طول،

ولكنّ الّذي جعلني أتسامح فيها هذا التّسامح، هو كونها كتابة عن كتاب تونسي حديث".(1)

فمساعدة زين العابدين للمفكّرين والأدباء في أيامه لم تكن أبدا مشروطة، حتّى قال فيه المنوّر صمادح: "لا أعرف أديبا في تونس من الشّيوخ والشّباب ليس للأستاذ السّنوسي يد في تكوينه أو في التّعريف به".(2)

هذا الرّجل لم يكن أبدا نكرة، حتّى وإن تألّبت الظّروف على إخماد جذوة نار حماسه وإسكات صوته وإطفاء سناه وإشعاعه. كذلك لا يمكن أن تطمس لهذا الرّجل معالم. لقد حمل شعار التّحدّي في حياته بإنجازاته الكثيرة وإبداعاته العديدة. فإن لم نصادفه في دنيا الإبداع والخلق، فإنّنا نصادفه في دنيا النّشر والطّباعة أو في دنيا الصّحافة والتّرجمة أوفي دنيا السّياسة والنّضال. ميزاته كثيرة قلّ أن اجتمعت في رجل واحد. وقد قال فيه الشّاعر المنوّر صمادح؛

---

1)- أبو القاسم الشّابي. المذكّرة المؤرّخة بيوم السّبت 25 جانفي 1930. ص: 62 ــ 63.

2)- المنوّر صمادح: مجلّة الإذاعة. العدد: 148. ص:26. 17 ماي 1965..

أحد الأوفياء والمعترفين له بالجميل: "بحثت بين أهل المدينة عن الرّجل... فلم أجد رجلا لا يعرفه..."(3)

لقد هلّ زين العابدين السّنوسي مع نهاية القرن التّاسع عشر فيما بين سنة 1897 وسنة 1898.(4) وعندما توفي والده محمّد السّنوسي يوم 17 نوفمبر 1900.(5) كان زين العابدين "**صبيّا مرضعا**"(6) ولم يتيسّر له أن يعرفه.

---

3)- المنوّر صمادح. مجلّة الإذاعة. العدد: 148. ص:26. 17 ماي 1965.

4) ــ الكثير من المصادر ذكرت أنّ مولد زين العابدين السّنوسي كان يوم 16 نوفمبر 1901. وهذا التّاريخ لا يوافق حتّى التّاريخ المثبت ببطاقة تعريفه. إذ في هذه الحال يكون زين العابدين السّنوسي قد ولد بعد وفاة والده، والحال أنّ الشّيخ محمّد السّنوسي قد ترك زوجته "حلومة" بنت بن عبد اللّه حبلى وأنجبت بعد مدّة من وفاته طفلة توفّيت رضيعة وكان إذ ذاك زين العابدين طفلا صغيرا لا يدرك.

بعضها الآخر ذكر أنّ مولده كان سنة 1898. وهو تاريخ أقرب إلى الحقيقة التّي بقيت مجهولة إلى يومنا هذا، ولا أعتقد أنّنا سندركها ذات يوم.

5) ــ عالم تونسي من القرن التّاسع عشر، محمّد السّنوسي حياته وأثره. لعلي الشّنوفي.

6) ــ الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر.ص: 10. الإهداء

كان من الممكن لهذا الرّجل أن يعيش في ظلّ العائلة المالكة عيشة راضيّة رغدة، إذ كان زوجا لإحدى أميراتها(7) ولكنّه رفض ذلك بإصراره المعهود وبطبيعته المكافحة الثّائرة.

لقد رفض يسر العيش ورخائه، واختار شظفه وعسره، وسلك فيه وعره وارتضى أن يمشي معتمدا على ذاته. ولقد ذكر محمود بيرم التّونسي أنّه: "...كان في استطاعته أن يكون قائدا من أكبر القيّاد أو موظّفا من أعظم موظّفي الإدارات، بل كان في استطاعته إذا أراد العمل الحرّ أن يكون من أعظم تجّار الواردات والمنسوجات الوطنيّة لما يملك من ثروة ضخمة. ولكنّ نفسه الكبيرة أبت عليه التماس الرّزق من تلك الأبواب المبتذلة المفتوحة لكلّ طامع في جمع المال فاختار الصّحافة وهي تجارة خاسرة وسلعة بائرة".(8)

فالكتابات حول هذا الرّجل كانت عديدة متعدّدة مختلفة في مشاربها وأهدافها(9). فزين العابدين السّنوسي ليس بحاجة إلى من يقدّمه إلى القارئ أو إلى

---

7) ــ تزوّج زين العابدين في مرّة أولى الأميرة آسيا بنت أحمد باي" الثّاني الّذي اعتلى عرش تونس من سنة 1929 إلى 1942.

8) ــ جريدة الشّباب. السّنة الأولى. العدد:2. ص:3. الخميس 6 نوفمبر 1936.

9) ــ انظر البيليوغرافيا المصاحبة لهذه المقدّمة.

من يعرّف به مثلما كان الحال بالنّسبة لبعض الأدبـاء الّذين عاصروه وعايشوه كـ"محمّد العريبي" صاحب المجموعة القصصيّة "الرّماد"(10)، أو "محمّـد زرّوق" صاحب رواية "نجاة"(11) والّذي لا يعـرف عنهمـا القارئ لا القليل ولا الكثير، وبدأ النّسيان يلفّهما حتّـى وقع الخلط مثلا بين "محمّد زروق" و"محمّـد البـشير زرّوق"، فذابت شخصيّة هذا في ذلك وكان من العسير على أنبه الباحثين والدّارسين الفصل بينهما.

لهذه الأسـباب لا أحـاول أن أتـرجم لـزين العابدين السّنوسي بقدر ما أحاول أن أقدّم جملة مـن الملاحظات والخواطر والانطباعات حولـه أو حـول أثره، والّتي لاحظت فيها بعض التّحريفات أو بعـض الالتباسات، ولإيماني بأنّه لا يمكنني أن أضيف جديدا إلى ما هو معلوم، فالرّجل قيمة أدبيّة ثابتة، وعلم من أعلام ثقافتنا المعاصرة البارزين، ورائـد مـن روّاد

---

10) ــ مجموعة قصص قصيرة من إعدادنا ونشر منشورات قصص سنة 1986.

11) ــ رواية قدّمنا لها وأعددناها للطّبع. ستصدر قريبا.

الإبداع القصصي لا شكّ في ذلك. ولم يكن أبدا نكرة تشكو الغبن والإهمال.

فزين العابدين السّنوسي حتّمت عليه ظروفه أن يحمل وحده وزر شخصيّة والده العلاّمة محمّد السّنوسي (12) خاصة بعد موت شقيقه محي الدّين (13) وكان طفلا يافعا هشّا طريّ العود. لقد آمن برسالة والده فحملها طوعا ولم يكبر"...إلاّ شاعرا بواجب إيصال حلقات سلسلة الدّهر"(14).

ورغم وفائه لروح والده، كان عليه أن يقاوم منذ صباه وينحت لنفسه شخصيّة قويّة محايدة، صلبة يكون لها كيانها وواقعها وميزاتها واستقلالها عن دائرة شخصيّة هذا الوالد الفذة، وباستطاعتها حمل هذا

---

12) ــ عالم تونسي من القرن التّاسع عشر، محمّد السنوسي حياته وأثره.

13) ــ هاجر إلى مصر واستقرّ بالقاهرة حيث عمل هناك محاميا. وتوفي أعزب. وقد قام بترجمة كتاب والده " تفتّق الأكمام عن حقوق المرأة في الإسلام" بمشاركة مع عبد القادر القبانلي. ونشر هذا الكتاب باللّغة الفرنسيّة بالمجلّة التونسيّة Revue Tunisienne سنة 1897. وأعاد نشره علي الشّنوفي بكتابه المذكور آنفا.

14) ــ الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر. الإهداء .ص: 10.

الإرث الثّقيل، وقادرة أيضا أن تكون ندّا لشخصيّة الوالد(15)، فكان له ذلك. وربّما رأينا شخصيّة هذا النّجل تطغى في بعض الحالات على شخصيّة الوالد بما قدّمته من إضافة، وبما أنتجته من فكر راق تقدّمي يتماشى وسنّة التّطوّر، حتّى وإن ظهر ذلك الوالد عاتيا بقيمة أعمال وآثار في المعرفة لها وقعها، بعيدة كلّ البعد عن ثقافة عصره المتزمّتة الرّجعيّة السّلفيّة الّتي كانت منتشرة في نهاية القرن التّاسع عشر. ومثل والده الّذي لم ير شخصه في حياته وإن لم يفارق بصيرته طرف عين(16) كان زين العابدين السّنوسي متحرّرا من قيود المعرفة السّلفيّة، بل كان رجلا يعيش واقعه وزمانه. فقد واكب تيّارات المعرفة المعاصرة

---

15) ــ لقد خلّف محمّد السّنوسي العديد من الآثار الفكريّة في مجالات عدّة كالتّاريخ والتّرجمة والرّحلة والقضاء. وقد حصرها الأستاذ علي الشّنوفي في كتابه المشار إليه سلفا في ثلاثة وعشرين كتابا أهمّها: مجمع الدّواوين، مسامرات الظّريف، الرّحلة الحجازيّة، خلاصة النّازلة التّونسيّة، نظام المدنيّة المفيد في كتّاب العصر الجديد، الرّياض النّاضرة بمقالات الحاضرة، الاستطلاعات الباريسيّة وتفتّق الأكمام.

16) ــ الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر. ص: 10. الإهداء.

ومارسها وسعى ودعا إليها وناضل من أجل إدراج قيم جديدة، بنبذ الانغلاق والانزواء والانطواء، بل كان بمشاريعه وطموحاته الصّحفيّة والأدبيّة التّجديدية سبّاقا لزمانه الّذي بقي يعيش على لحن إرثه الثّقافي التّقليدي السّلفي.

فمنذ نشأته آمن بأهمّيّة الصّحافة وبسلطة الصّحافة، رغم إدراكه لمخاطرها وبأنّها محنة، فقد رأى فيها الوسيلة الوحيدة القادرة بأن تعطيه صوتا وسلاحا يستعمله لفضح الممارسات التّعسّفية لمحتلّ بدأ يطيب له المقام ويستعمل كلّ الحيل ليظهر للملإ بمظهر المنقذ. لقد أحبّ الصّحافة وأخلص لها بل وضع فيها كلّ غال ونفيس دون حساب، ودون أن يطلب في ذلك جزاء أو شكورا.

المؤلم في وضع زين العابدين السّنوسي أنّه لم ينل حظّه في واقعنا الأدبي والفكري والسّياسي حيّا وميّتا. ولم يحتل المكانة الّتي كان من المفروض أن تعود إليه وجوبا، بل نرى أنّه كان دائما عرضة للتّعسّف المقيت والجحود الأعمى والنّكران المبيّت.

وقد قرأنا ما خلّفته تلك الزّوابع المغرضة في الانتقاد والتّنكر الّتي تعرّض لها في بداية حياته حتّى من أخلص أصدقائه. وأهل الذّكر عندنا، غالبا ما يصنعون أصناما من ورق يعبدونها كهؤلاء الّذين صنعوا رائدا للقصّة التّونسيّة دونه، والحال أنّهم يعلمون علم اليقين أنّه أولى من غيره بهذا اللّقب الّذي لا يضيف له شيئا ولكنّه حقّ يعود إليه بالضّرورة.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

2 ـ نشـــاطه

عرف زين العابدين السّنوسي بمثابرتـــه فـــي العمل "بدار العرب" المطبعة الّتـــي كـــان يمتلكهـــا، فيقضي بها جلّ أوقاتـــه متـــنقّلا بـــين مكتبـــه وآلات الطّباعة، فكان "حركة دائمة لا يستقرّ له قرار مثلمـــا وصفه الأستاذ توفيق بوغدير، فهـــو لا يـــستنكف أن يساعد في الأعمال اليدويّة كالتّصفيف والعناية بـــآلات الطّباعة وصيانتها.

فهو منخرط في جلّ المنتـــديات والجمعيـــات والفضاءات الثقافيّة العاملة. فيشحذ الهمم ويحثّ عـــن الإنتاج الأدبي والفكري، ويوجّـــه النّاشـــئة، ويلقـــي المحاضرات وينظّم النّدوات. فغالبا مـــا يـــرى فـــي الصّور الفوطوغرافيّة الّتي وصلتنا، فكان فـــي حفـــل تكريم الطّاهر الحدّاد، بمناسبة صدور كتابه "العمّـــال التّونسيون" سنة 1927 أو بمناســـبة صـــدور كتابـــه "امرأتنا في الشّريعة والمجتمع" سنة 1930. وكـــان

في المأدبة الصّحفيّة الّتي أقامتهـا لجنـة الـصّحافة بالحزب الحرّ الدّستوري التّونسي تكريمـا لـصاحب "العصر الجديد" بمناسبة تعطيل السّلطة الاسـتعماريّة لهذه الجريدة وكان بحفل تكريم الأديب سعيد أبو بكر الذّي أقيم له سنة 1929.(17)

ثمّ أننا نعلم أنّه كان أحد أفراد جماعة مقهـى تحت السوّر وقد ساعد الكثير من أدباء تلك المجموعة بدون حساب ففتح لهم صفحات مجلّته وجرائده، وفتح لهم باب التألّق والبروز صحفيّا وساعدهم ماديّا وأدبيا.

كان وفيّا لأصدقائه، ويزور بعضهم حتّى فـي محلّ سكناهم مهما كانـت أوضـاعهم فيهـا، ودون اعتبارات أخرى غير الصّداقة، سواء كان ذلـك فـي قصورهم أو حتّى في الوكالات الشّعبيّة البائسة، والّتي كان من المفروض أن لا يدخلها رجـل أرسـتقراطي مدنيّ مثله يسرت حاله. وقد ذكر الشّابي ذلك فكتـب قائلا:((...وجاء الأخ زين العابدين "وأنا أكتب" فحيّاه أخـي، واقـتحم

---

17) ــ أضواء على الصّحافة التّونسيّة. ص: 265 و 266.

البيت ولمّا رآني أكتب وقف في الباب يتأمّلني. ولكنّني لم أنتبه له رغم وقوفه وتحيّة أخي إليه. ولم أشعر إلاّ وصوت يقول:

"لا أراك إلا تكتب أدبا أليس كذلك؟

فالتفت، فإذا به الأخ زين العابدين")) (18).

ونحن نعلم أنّ الشّابي كجلّ طلبة جامع الزّيتونة الوافدين من آفاق البلاد على الحاضرة، لا يسكن إلاّ في المدارس مثل السّليمانيّة أو الوكالات البسيطة مثل وكالة "الخازمي" الّتي غالبا ما يسكنها إلاّ بعض الطّلبة أو بعض النّازحين من العملة أو الحرفيين أو بعض صغار التّجار من "الجرابة" وغيرهم.

ونظرا لطبيعته المرحة، فغالبا ما كان يتّهم بالقول دون الفعل. وهذا الموقف جاء من أقرب أصدقائه المقرّبين؛ مثل الشّابي الذّي كتب مؤمّنا على رأي حمودة بوسن القائل: "إنّ سي زين العابدين يقول كثيرا وأنا أخاف المكثرين". فقلت له: "إنّ سي الزّين يقول كثيرا ولا يعمل." وإن رأينا الشّابي الّذي عرف برفعة أخلاقه وسماحة نفسه وطيبته يتدارك قائلا: " ...ثمّ ندمت على تسرّعي بمثل

---

18) ــ مذكّرات الشّابي. 6 فيفري 1930. ص: 78.

تلك الجملة، لأنّ الأخ زين العابدين نشيط كالنّملة، حريص كالأرض، ولا يصحّ قول غير عامل إلاّ إذا لم يجد مجالا للعمل. فإنّه يندفع في القول الكثير وكأنّه يعلّل بذلك نفسه الظامئة، وآماله الفساح." (19) فالاتّهام قائم لا مبرّر له، والمظلمة قائمة أيضا ولا تدلّ إلاّ على الحيف والأحكام المسبّقة المرتجلة التّي تعرّض لها الرّجل حيّا وميّتا.

وفي الحقيقة، فأصحاب النّوايا الطّيبة غالبا ما يكونوا عرضة لحسد الحاسدين. والذّين يتعدّد نشاطهم، غالبا ما يتبدّد جهدهم، فلا نراهم يبدعون أو ينتجون الكثير. خاصة إذا كان اعتمادهم على الذّات مثلما هو الشّأن في صورة الحال. ولو قصر زين العابدين جهده، وحصر نشاطه في مجال واحد لكان أبدع وأجاد وأصاب أيضا. ورغم ذلك فقد أبدع في الكثير من المجالات، خاصة في مجال النّقد والدّراسة اللذين أنتج فيهما ما لا يقلّ عن عشرين عنوانا ذات أهمّية بالغة. وقد سلك زين العابدين السّنوسي المسلك الّذي سلكه والده في كتابة التّراجم، فألّف فيها العديد من

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

19) ــ مذكرات الشابي. 6 جانفي 1930. ص: 30.

الأعمال، إضافة إلى كونه كان رائد الكتابة القصصيّة بتونس دون منازع، فمارس الكتابة القصصيّة بجميع ألوانها، فدعا إلى كتابتها، وشجّع على ممارستها. ونتيجة لذلك برزت مجموعة كبيرة من كتّابها الّذين أبدعوا وأجادوا فيها؛ كالدّوعاجي والعريبي وخريّف وغيرهم كثير.(20)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

---

20) ــ من كانت ظروفهم مثل ظروف زين العابدين السّنوسي، كانوا في الغالب يوظّفون البعض من أتباعهم والمحيطين بهم ــ وهم كثر ــ ممن يسمّونهم بالعبيد(Négres). ورغم ذلك فلم يستعمل أيّ كان في كتابة أثره، حتّى وإن أدّعى عند كتابة بعض أقاصيصه بأنّه كتبها بالإشتراك. وقد جاء هذا في مذكّرة الشّابي المؤرّخة بيوم 13 جانفي 1930: "وأحدوثته الحبيبة هاته كتبها الأخ زين العابدين بمشاركة شخص أبى أن يسميّه". فكلّ ما في الأمر أنّ أدب القصّة لم يكن معتبرا من أدب الخاصة فأراد أن يجّنب قصّته أن تعامل معاملة أدب العامة.

3- آثـــاره

مثلما سبق وقلت، إنّ الإشكال في مدار زيـــن العابدين السّنوسي لم يكن في شخصيّته الّتي لم تكـــن أبدا غامضة ولكن في آثاره الّتي لـــم تجـــد طريقهـــا المستقيم إلى النّشر وبذلك لم يهتد إليها القـــارئ. وإن نشرت فإنّها غالبا ما تنشر بطريقة مشوّهة تسيء إلى النشّر أولا وتسيء إلى كاتبها ثانيا.

وآثاره ــ رغم أهمّيّة ما نشر منها ــ بقيـــت متفرّقة منثورة هنا وهناك، ولم تخضع فـــي نـــشرها لخطّة منهجيّة محكمة تمكّن من إبراز حقيقة الرّجـــل وحقيقة أعماله حتّى يحتلّ مكانته في الواقع الأدبـــي التّونسي وبذلك مكانته في الواقـــع الأدبـــي العربـــي عموما.

بحكم هذا التّشتّت فهذه الأعمال لم تكوّن فـــي مجموعها وحدة. فإنّنا نرى كتابا هنـــا وآخـــر هنـــاك

ومقطع هنا وآخر هناك. وجزء من كتاب هنا وأهمل الجزء الآخر، ولا وجود لصلة تربط بين هذا وذاك.

هذه الحالة قد همّشت أثر الرّجل ــ رغم قيمته الفكريّة والأدبيّة ــ ففقد مع الزّمن أهمّيته وميزته. الشّيء الّذي ترك البعض في حالة عدم اطلاعه على هذه الآثار أن يشكّ في قيمتها الفنّية أو الفكريّة. ويكفي أن نقدّم حصرا بسيطا لما أمكننا أن نطّلع عليه حتّى ندرك أهميّة ما ترك من أعمال ربّما تساعد على جمعها وطبعها، وبذلك تبرز أهمّية كاتبها وتبوّئه المكانة الرّفيعة الّتي يستحقّها. وقد صنّفناها حسب نوعها وضبطناها في أربعة محاور أساسيّة: في البحث والدّراسة، في التّراجم، في أدب القصّة ومتفرّقات.

أ ــ في البحث والدّراسة:

1 ــ الأدب التّونسي في القرن الرابع عشر: ج:1.

ــ " " " " " ج:2.

ــ " " " " " ج:3.

2 ــ أنموذج الزّمان في شعراء أهل القيروان.

3 ــ حضارة الأندلس.

4 ــ دراسة في شعر خزندار ونسخة من ديوانه.

5 ــ الدّستور التّونسي أو استرجاع السّيادة الوطنيّة.

6 ــ تحقيق ديوان عبد الجّبار بن حمديس. ج:1.

ــ " " " " " " ج:2.

7 ــ ديوان محمّد بو شربيّة القيرواني

8 ــ عصر الإبداع.

9 ــ كتاب الجناة.

10 ــ الوطنيّة في الأدب العربي.

ب ــ في التّراجم

1 ــ أبو القاسم الشّابي.

2 ــ أحمد بن أبي الضّياف.

3 ــ تميم بن المعزّ.

4 ــ جميل صدقي الزّهاوي.

5 ــ الحسن بن رشيق.

المكتبة الوطنية التونسية BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

6 ــ سعيد أبو بكر.

7 ــ عبد الرّحمان بن خلدون.

8 ــ محرز بن خلف.

9 ــ محمّد الشّاذلي خزندار.

10 ــ محمّد بيرم الخامس.

11 ــ محمّد العريبي.

12 ــ محمود قابادو.

ج ــ في أدب القصّة

1 ــ المهاجر:(مجموعة قصص من إعدادنا. وعنوانها من وضعنا جاء في أهمّ أقصوصة بالمجموعة).

2 ــ فتح افريقيا (أو عبد اللّه بن الزّبير وابنة جرجير). مسرحيّة.

3 ــ بنت قصر الجمّ. رواية.

د ـ متفرّقـات

لزين العابدين السّنوسي أعمال أخرى جـاهزة أو متفرّقة لم يسعفه العمر بجمعها أو طباعتها وبقيت متفرّقة بالجرائد والمجلاّت، أو بقيت مخطوطة ضمن أوراقه، بالإمكان إعدادها في كتب قيّمـة ويمكـن أن نذكر منهـا الأوراق الخاصـة بتـاريخ تـونس، أو قصصه، أو بعض التّراجم حول شخـصيات أدبيـة وفكريّة مثل تراجم أبـو ذؤيـب الهـذلي أو محمّـد بالخوجة وغيرهم كثير. أعمال كان ينوي إصـدارها وإعدادها للنّشر فكانت حلما قبر معه. وآمل أن أحقق شخصيّا جزء من حلمه بما أنوي إعداده من آثار تدعّم رصيده وتكشف قدراته في الخلق والإبداع القصصي خاصة.

4- أقـــاصيصه

عجبي كبير وأنـــا أقـــرأ أو أســـمع أنّ علـــي الدّوعاجي كان رائد القـــصّة التّونـــسيّة الأوّل بـــدون منازع، والحال أنّه ما كان إلاّ صنيعة من صنائع زين العابدين السّنوسي ومحمود بيـــرم التّونـــسي. فعلـــي الدّوعاجي له أهمّيته في مسيرتنا الإبداعية عامة، وفي تاريخ القصّة التّونسيّة خاصة، فهذه حقيقة. وفـــضله عليها كبير بما أنتجه من آثار لها أهمّيتها، مثله مثـــل بعض روّادها كمحمّد العريبي ومحمد عبـــد الخـــالق البشروش والتّجاني بن سالم، وسعيد أبو بكر وغيرهم كثير. لكنّ فضل زين العابـــدين الـــسّنوسي ــ رغـــم إنتاجه المتواضع فيها ــ أكبر وأهم بما قدّمـــه مـــن عمل كبير تجسّم في ما أبدعه أو ترجمه من قـــصص وما أعطاه من دفع لها حتّى وصلت إلى ما آلت إليـــه في حاضرنا من ازدهار نسبي يمكنهـــا ويؤهّلهـــا أن تحتلّ مكانة مـــشرّفة فـــي واقـــع الآداب القصـــصيّة الأخرى.

فهل هذا يعني أنّ القصّة عند زين العابـدين السّنوسي لا تأتي إلاّ في مرتبة ثانويّـة إزاء نـشاطه الصّحفي أو الأدبي في المقالة أو الدّراسة النّقدية الّتي مارسها طول حياته؟

فالقصّة عند زين العابدين السّنوسي تحتلّ نفس المرتبة من الأهمّية مثلها مثل الألوان الأدبيّة الأخرى الّتي مارسها. كلّ ما في الأمـر أن نـشاطه متعـدّد الجوانب والفروع، وفترات اهتماماته متنوّعة مختلفة باختلاف ما تسمح به ظروفه من ممارسة لهذا اللّـون أو غيره، ولا ننسى أنّ أهمّ هدف عنده كان مواصـلة رسالة والده الفكريّة في الأدب والصّحافة فكان موجّها إلى ذلك دون إرادته.

ففي هذا المجال الضّيق، لا يمكننا أن نبحـث في أدب زين العابدين عموما، بل تقيّدنا بما كان مـن أدب القصّة القصيرة فقط، وما جمعناه بين دفّتي هـذا الكتاب.

فزين العابدين السّنوسي كتـب القـصّة عـن اقتناع. ومنذ أن تسلّم رئاسة تحرير مجلّة "العالم" التّي

كان صاحب الامتياز فيها محمّد فخري، أعلن عن نواياه بإصدار مجلّة معاصرة تبحث في النّزعات الفنّية وتدعو إلى ثقافة جديدة متفتّحة تنشد الحداثة. وهو ما آخذه عليه "محمّد فخري" في البلاغ الّذي أصدره بهذه المجلّة عندما حصلت القطيعة بينهما، وتمّ سحب الرّخصة من زين العابدين قائلا: "...ويتباهى بالصّيغة التّجديديّة الّتي أصدرها بها وصار في هذا السّبيل الّذي لا تقبله أمّتنا المحمّديّة بصدر رحب..."(21)

فالدّعوة كانت صريحة من زين العابدين السّنوسي إلى ثقافة جديدة وبذلك إلى الاهتمام بكتابة القصّة في تونس. لقد وقف هذا الرّجل مناضلا منذ الأعداد الأولى لصدور مجلّة "العالم الأدبي"، محرّضا النّاشئة الأدبيّة على كتابة قصّة تونسيّة خالصة. وكان قد التزم منذ الأعداد الأولى للمجلّة أن يخصّص لأدب القصّة مجالا في كلّ عدد سواء كان ذلك بالوضع أو بالتّرجمة أو بالنّقد والدّراسة. وأوفى بوعده.

---

21) ــ مجلّة "العالم". ماي 1930.

في مرحلة أولى ــ ومنذ العدد التّاسع ــ نوفمبر 1930 ــ تعلن المجلّة صراحة: أنّ جهادها "...في هذا المضمار طيلة العام انعش بين النّاشئة الأدبيّة فكرة وصف الحياة التّونسيّة بالطّريقة القصصيّة" (22).

ولم يكتف بالتّحريض والدّعوة إليها بل شرع قبل ذلك بالإنجاز فكتب مجموعة من الأقاصيص المتطوّرة في أسلوبها. بل المتطوّرة جدّا على مستوى المناولة الفنيّة رغم صبغتها التّعليميّة(23). فمواضيعها، وإن بدت في حاضرنا دون أهمّيّة، فإنّها في ذاك الوقت(أي في العشرينات والثّلاثينات) كانت أهمّ ما يشغل الرّأي العام. ولا نراها إلاّ عينات صادقة من الواقع. فـ ((ميزة الكاتب القصصي هي تجاربه وملاحظاته ومطالعاته. وقوّته تنحصر في تفوّقه عن سواه في إجادة هضم ما داخل نفسه من هذه التّجارب والملاحظات والمطالعات. فليس الكاتب القصصي من شكى وبكى إذا ما عكسه الدّهر ولا من ضحك وغنّى كلّما ساعده العيش

---

22) ــ انظر مثلا قصّة بين شاب مسلم وباريسيات حسان. بالمجلّد 1. بالعدد الخامس. كيف تصدّى للآراء المنحرفة عند الغرب إزاء الإسلام.

23) ــ العالم الأدبي. السّنة الثّالثة. العدد السّابع. 17 أفريل 1932.ص:10

بفرصه. لأنّه موكّل قبل كلّ شيء بالنّظر للمسائل كجملة أجزاء متلاحمة وموكل قبل كلّ شيء بمقابلتها ومقارنتها وتفهّم الأسرار الّتي جعلت ظهورها واردا على هذه الصّورة دون تلك."(24). فمشكل المرأة ووضعها في الواقع العربي المسلم كان قائما منذ أكثر من قرن، والمواضيع العاطفيّة عموما، كانت أكثر المشاكل إثارة في تلك الفترة وأهمّ ما يشغل الرّأي العام. وقد سبق في الزّمن أن رأينا كيف تعرّض له الشّيخ محمّد السّنوسي في كتابه "تفتّق الأكمام". ثمّ كان موقف الطّاهر الحدّاد في بداية هذا القرن فكان كتابه "المرأة في الشّريعة والمجتمع". فما الجديد والمستحدث إذن في كتابة زين العابدين السّنوسي؟ الجديد هنا نقل هذه المواضيع من الدّراسة إلى الإبداع وخاصة الإبداع القصصي. وربط هذا بأهمّية الخطاب السّردي، وجعل الصّورة وسيلة لنقل الأزمات القائمة في المجتمع، ودعوة صريحة للطّبقة النّيرة للالتصاق

24) ــ العالم الأدبي. السنة الثّالثة العدد السّابع. 17 أفريل 1932. ص: 10.

بالمجتمع وتصوير همومه، وإبراز ما تراه فيه من انحرافات في ثقافته وعاداته وسلوكه.

فزين العابدين السّنوسي لا يرى محن مجتمعه إلاّ نتيجة عاداته وتقاليده الموروثة(25) ولا يرى مقابل ذلك الانسلاخ والتّنكّر لقيمه وتبنّي ما ورد عليه من عادات الغرب وسلوكه(26). فالّذي يفقد هويته لا يمكن أن يسعى جادا لخلاصه.

الأقاصيص الخمس الأوائل منها(الحبيبة، عجز أديب، حديث شاب مسلم مع باريسيات حسان، من ضحايا الانقلاب وعزاء العروس) نشرت بمجلّة العالم، والعالم الأدبي، بإمضاء المحدّث. ونشرت الأقصوصتان السّادسة والسّابعة (المهاجر وفاطمة) بجريدة تونس ومجلّة النّدوة، بإمضاء زين العابدين السّنوسي.

والمحدّث ما هو إلاّ زين العابدين السّنوسي. لقد ذكر الشابي: "...وكان من بين ما حدّثني به (أي زين العابدين

---

25) ــ موضوع عالجته قصّته: عزاء العروس.

26) ــ موضوع عالجته قصّته: من ضحايا الانقلاب.

السّنوسي)، أنّ المحدّث، ويعني به نفسه قد شرع في قصّتين رائعتين: إحداهما تتوقّف على زورة إلى نابل حتّى يرى الشّخص أو ينظر العذارى اللّواتي يسنين الماء في البساتين، والأخرى تتعلّق بفكرة الزّواج، والمرأة الّتي كثيرا ما كانت سلعة تباع وتشترى في سوق المطامع والشّهوات".(27) وقد ذكر الشّيخ محمّد الفاضل بن عاشور "إن فيما نشرته مجلّة "العالم الأدبي" أقاصيص ذات لون تونسي مستمدّ من صميم الحياة الشّعبيّة والنّفسيّة العربيّة، إلاّ أنّ أكثر ما نشر من تلك الأقاصيص الرّائعة كان ممضى بإمضاء رمزي يظهر أنّه لكاتب واحد وأن اختلف الإمضاء، فكان مرّة "الرّاوي" وأخرى "المحدّث""(28).

والواقع ينفي ذلك. لقد أمضى الرّاوي قصّتين بالعالم الأدبي تحت عنوان "خبر أكلة البشر" و"امرأة عاهر" وبعض القصص المترجمة والمقالات النّقديّة، وقد جاء في تقديم القصّة الأولى أنّها " قصّة واقعيّة بقلم الرّاوي يوم كان طالبا بباريز". والحال أنّ زين العابدين السّنوسي لم يسافر إلى باريس قطّ للدّراسة، ولا دخل كلّية، ويعتبر من الأدباء العصاميين. هذا إضافة إلى تباين الأسلوب في الكتابة وتناول المواضيع. لهذا

---

27) ــ مذكرات الشّابي. الخميس 6 فيفري 1930. ص:78.

28) ــ الحركة الأدبيّة والفكريّة. ص: 186.

أهملنا هاتين القصّتين باعتبار أنّ الرّاوي شخص آخر غير زين العابدين السّنوسي وغير محمّد العريبي الّذي أمضى بعض أعماله والّتي نشرها بجريدة الزّمان بهذا الإمضاء في ما بعد هذا التّاريخ. ويعتقد أنّ هذا الرّاوي هو أحمد الدّرعي. مترجم ومتمكّن من اللّغة الفرنسيّة وأدبها خاصة.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

ببليوغرافيا

المصادر:

1 ــ مجلّة العالم. فيفري. 1930.

2 ــ مجلّة العالم الأدبي. 1930.

3 ــ جريدة تونس. 1930.

4 ــ مجلّة النّدوة. 1956.

المراجع:

1 ــ ابن سالم (عمر):

ــ الرّصيد المسرحي بوزارة الثّقافة.

2 ــ ابن عاشور (محمّد الفاضل):

ــ الحركة الأدبيّة والفكريّة في تونس. الدّار التّونسيّة للنّشر. 1972.

3 ــ ابن قفصيّة (عمر):

ــ أضواء على الصّحافة التّونسيّة. (1860 ــ 1970). 1972.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

4 ــ ابوذينة (محمّد):

ــ مشاهير التّونسيين.

5 ــ بيرم التّونسي (محمود):

ــ جريدة الشّباب. 29 أكتوبر 1936 ــ 12 مــارس 1937.

6 ــ جوليان (شارل اندري):

ــ المعمّرون الفّرنسيون وحركة الشّباب التّونسي.

7 ــ الحليوي (محمّد).

ــ مع الشّابي. كتاب البعث. 1955.

8 ــ حمدان (محمّد):

ــ أعلام الإعلام.

9 ــ خالد (أحمد):

ــ خصومة بين أديبين، سعيد أبي بكر وزين العابدين السّنوسي. مجلّة الفكر السنة:12. العــدد:7. افريــل 1967.

10 ــ الذّوادي (الرّشيد):

ــ أدباء تونسيون. الطّبعة الأولى 1972.

ــ تحت السّور. الطّبعة الأولى. 1975

11 ــ الزّمرلي (الصّادق):

ــ وجوه تونسيّة. (الأصل المكتوب باللّغة الفرنسية). الدّار التّونسيّة للنشر.1972.

12 ــ السّنوسي(زين العابدين):

ــ الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر. الدّار التّونسيّة للتّوزيع. النشرة الثّانيّة. 1979.

13 ــ الشّابي (أبو القاسم):

ــ مذكّرات الشّابي. الدّار التّونسيّة للنّشر. النّشرة الرّابعة 1983.

14 ــ الشّنوفي (علي):

ــ عالم تونسي من القرن التّاسع عشر. محمدّ السّنوسي حياته وأثره.(الأصل المكتوب باللّغة الفرنسيّة). نشر الجامعة التّونسيّة. 1977.

15 ــ صمادح (منوّر):

ــ ديوان صراع . المطبعة العصريّة 1956.

ــ ديوان فجر الحياة.

16 ـ غازي (محمّد فريد):

ـ الرّواية والقصّة بتونس. (الأصل المكتوب باللّغة الفرنسيّة) الدّار التّونسيّة للنّشر. 1970.

17 ـ فنطر (محمّد):

ـ تونس. 30 قرنا من الحضارة. (الأصل المكتوب باللّغة الفرنسية) الدار التونسيّة للنّشر 1983.

18 ـ كرّو (أبو القاسم محمّد):

ـ الطّاهر الحدّاد. كتاب البعث 1957.

19 ـ ماجد (جعفر):

ـ الطّاهر الحدّاد. الشّركة التّونسيّة للتّوزيع.

ـ الصّحافة الأدبيّة بتونس من 1904 إلى 1955. (الأصل المكتوب باللّغة الفرنسيّة). منشورات جامعة تونس.1979

20 ـ محفوظ (محمّد):

ـ تراجم المؤلّفين التّونسيين. دار الغرب الإسلامي.

21 ــ المدني (عزّ الدّين):

ــ روّاد التّأليف المسرحي في تونس. بالاشتراك مع مع محمّد السّقانجي. الشّركة التّونسيّة للتّوزيع. الطّبعة الأولى. 1986.

22 ــ المراكشي (محمّد الصالح):

ــ أغراض الشّعر العربي وتطوّرها بالبلاد التّونسيّة في الثّلث الأوّل من القرن العشرين.

23 ــ المعالج (عبد القادر):

ــ محمّد ابن حسين أو ستّون عاما من الصّحافة. 1987

24 المهيدي (محمّد الصالح):

ــ تاريخ الصّحافة العربيّة وتطوّرها بالبلاد التّونسيّة. نشر معهد علي باش حانبة. 1965.

ــ تاريخ الطّباعة والنّشر بتونس. محمّد الصّالح المهيدي. نشر معهد علي باش حانبة.1965.

25 ــ مواعدة (محمّد):

ــ حركة التّرجمة في تونس وأبرز مظاهرها في الأدب. الدّار العربيّة للكتاب. 1986.

أهمّ الأحداث في حياة زين العابدين السّنوسي

1895 ـ (27 ماي) زواج محمّد السّنوسي من حلّومة بنت بن عبد اللّه.

1896 ـ تأسيس الجمعيّة الخلدونيّة لمساعدة تلاميذ جامع الزّيتونة، للتّشبّع بالعلوم العصريّة.

1897 ـ احتمال ولادة زين العابدين السّنوسي في بيت والده محمدّ السّنوسي، وأمّه حلّومة بنت بن عبد اللّه.

1901 ـ غلق عشر مدارس للمسلمين للحدّ من انتشار التّعليم ومن خطر "المتطورّين" على الثّقافة الفرنسيّة.

1904 ـ صدور الجريدة الأسبوعيّة "الصّواب" لصاحبها محمّد الجعايبي. وقد ساهم في تحريرها نخبة من رجال الفكر والسّياسة كالبشير صفر وأحمد الدّرعي والطّاهر الحدّاد ومحي الدّين القليبي وحسين الجزيري.

1905 ـ صدور مجلّة "السّعادة العظمى" للخضر حسين.

ـ (23 ديسمبر): تأسيس جمعيّة قدماء تلاميذ المدرسة الصّادقيّة. ومن أهمّ مؤسّسيها علي باش حانبة أحد

العناصر النّاشطة في حركة "الشّباب التّونسي" التّي كان لها دورها النّضالي في تونس مدّة العشرين سنة الأولى من القرن العشرين.

ـ بدأت جريدة "الزّهرة" الّتي أسّسها عبد الرّحمان الصّنادلي سنة 1890 صدورها يوميّا بعد أن كانت تصدر مرّتين في الأسبوع.

1906 ـ محاولة نشر التّربيّة الإسلاميّة في أوساط الأطفال المسلمين بفتح كتاب عصري بإعانة "جمعيّة الأوقاف" كردّ فعل على موقف الحكومة الفرنسيّة الّتي أغلقت بعض المدارس في هذه الأوساط للحدّ من "تكالب التّونسيين" على طلب العلم بالمدارس العصريّة حسب تعبير أحد المعمّرين.

1909 ـ صدور جريدة "التّونسي" وهي النّسخة العربيّة لنشريّة حركة "الشّباب التّونسي". وقد أصدرها علي باش حانبة بمساعدة عبد العزيز الثّعالبي.

1910 ـ إضراب طلاّب المدارس وتظاهرهم في الشّوارع يوم 15 مارس. مطالبين بإصلاحات عاجلة لنظام التّعليم التّقليدي.

1911 ـ إيطاليا تعلن الحرب على ليبيا. والتّونسيون يعبرّون

عن تضامنهم مع أشقائهم ماديّا وأدبيّا.

ـ (7 نوفمبر) قيام معركة الزّلاج وسقوط العديد من الشّهداء.

1914 ـ قيام الحرب العالميّة الأولى.

1915 ـ إحراز زين العابدين السّنوسي الشّهادة الابتدائيّة. وقد زاول تعليمه بالفرع الابتدائي للمدرسة الصّادقيّة.

1916 ـ التحاقه بالفرع الثّانوي لنفس المدرسة.

1917 ـ انقطاعه عن الدّراسة بالصّادقيّة والتحاقه بجامع الزّيتونة.

1920 ـ انقطاعه عن التّعليم تماما دون حصوله على أيّة شهادة ثانويّة.

ـ تأسيس الحزب الحرّ الدّستوري وانضمام النّخبة المثقّفة إليه.

ـ في هذه السّنة صدرت عدّة جرائد ومجلات منها: "الإتحاد" للشّاذلي بن الحطّاب، و"البدر" لمحمّد العربي المشيرقي، و"الأخبار التّونسيّة" لعلي بن صالح عبّاس، و"الوزير" للطّيب بن عيسى، و"الإصلاح" للشّاذلي بو دربالة، و"المجلّة الصّادقيّة" لجمعية قدماء المدرسةالصادقية لرئيس تحريرها محمّد السّعيد

الخلصي. و"العصر الجديد" لأحمد حسين المهيري.

1921 ـ صدرور مجموعة هامة أخرى من الجرائد والمجلات منها: "لسان الشّعب" للبشير الخنقي، و"النّديم" لحسين الجزيري، و"العمران" للصّادق الرّزقي (وهي مجلّة اقتصاديّة)، و"الزّهو" للحاج عثمان الغربي.

ـ التحاق زين العابدين السّنوسي بالجامعة الزّيتونيّة. وهذه الجامعة ليست بمؤسّسة علميّة ولا تربويّة بل هي منظّمة طلاّبيّة رأسها الأستاذ محمّد مناشو ولها ناد بسوق الكتبيّة وتصدر مجلّة البدر.

1922 ـ أسّس زين العابدين السّنوسي مطبعة العرب بنهج السّيدة عجولة عدد 12 تونس.

1923 ـ كراؤه لامتياز مجلّة البدر وصدورها تحت عنوان العرب. ونشره لبعض الأعمال كحديقة العرب، ولطائف العرب، ومقالات العرب، والتّقويم الاجتماعي. وكتاب الجناة.

1924 ـ محمّد علي يؤسّس نقابة جامعة عموم العملة.

1925 ـ نفي محمّد علي مؤسّس الحركة النّقابيّة وجماعته.

1926 ـ عيّن زين العابدين السنوسي كاتبا لمحاضر جلسات النّادي الأدبي لجمعيّة قدماء تلاميذ المدرسة الصّادقيّة

ونلاحظ فيما بعد من خلال مذكّرات الشّابي كثافة نشاطه بهذه الجمعيّة.

1927 ـ قيامه بجولة في البلاد التّونسيّة لجمع وإعداد مادة كتابه الأدب التّونسي في القرن الرّابع عشر. وقد زار الجريد وصفاقس والقيروان وسوسة والمنستير. وتمّ إيقافه بقفصة لممارساته أعمالا سياسيّة. وإثر إطلاق سراحه بدأ الكتابة بجريدة النّهضة حتى صار المسؤول عن تحريرها.

ـ نشره لكتاب العمّال التّونسيون للطّاهر الحدّاد بدار العرب.

1929 ـ نشره لكتاب الخيال الشّعري عند العرب لإبي القاسم الشّابي بدار العرب.

1930 ـ تسوّغه امتياز جريدة الصّادرات والواردات من صاحبها محمّد فخري، وإبدال عنوانها باسم "العالم". وإصدار عددين منها (جانفي وفيفري). ثمّ إصداره لمجلّة "العالم الأدبي" بعد ذلك بداية من شهر مارس بدون رخصة.

1931 ـ حصوله على امتياز إصدار مجلّة "العالم الأدبي" بعد أن تعطّلت ولم تصدر إلاّ في مطلع سنة 1932.

1935 ـ تأسيس الإتحاد الاقتصادي التّونسي. ونشره لكتاب الحركة الاقتصاديّة بالاشتراك مع سعيد بودربالة.

1936 ـ إصداره لجريدة تونس.

1938 ـ (9 أفريل) وقوع الأحداث الدّاميّة بالعاصمة وسقوط شهداء في ساحات المدينة.

ـ تعطيل جريدة "تونس" إثر هذه الأحداث، ثمّ استئناف صدورها.

1939 ـ تعطيل جريدة "تونس" من جديد بقرار مؤرّخ بيوم 21 أوت 1939.

1942 ـ (19 جوان) موت أحمد باي الثّاني صهر زين العابدين السّنوسي، ووصول محمد المنصف باي إلى الحكم.

1943 ـ (1 جانفي) استدعاؤه لمقابلة الوزير الألماني "راهن" في مقرّ القيادة الألمانيّة بتونس بدار حسين وعرض عليه السّفر إلى إيطاليا.

ـ (3 جانفي). سفره إلى إيطاليا صحبة ابنه نور الدّين.

ـ (27 مارس). سجنه بحصن روفيسانو بضاحيّة فلورنس طيلة ثلاثة أشهر.

ـ انتقاله إلى محتشد بلدة فوشيكو.

ـ صدور حكم الإعدام ضدّه من طرف المحكمة الفرنسيّة

بتونس بتهمة الفرار مع العدوّ.

1945 ـ (جويلية) كانت عودته إلى تونس عن طريق البحر.

ـ (7 جويليّة). وصوله إلى بنزرت وإلقاء القبض عليه من قبل سلطة الاحتلال الفرنسي وإيداعه السّجن العسكري بتهمة التّعاون مع دول المحور.

ـ بدء كتابة قصّته " بنت قصر الجمّ" في سجنه.

ـ نقله إلى المستشفى العسكري المدني بالرّابطة بسبب تدهور صحّته.

1947 ـ (26 فيفري). تمّ إطلاق سراحه.

1948 ـ (18 جوان). عودة جريدة "تونس" للصدور من جديد.

ـ نفي محمد المنصف باي وموته (غرّة سبتمبر) بمنفاه بـ "بو" بفرنسا.

1952 ـ (جانفي). تأسيس زين العابدين السّنوسي لشركة دار الثّقافة؛ وهي شركة تعاضديّة استهلاكيّة لاستجلاب الكتب المدرسيّة والثّقافيّة والأدوات المدرسيّة. مقرّها بنهج الدّيوان عدد:5. ومن المساهمين في هذا المشروع الثّقافي: البشير الفورتي والحكيم أحمد بن ميلاد والشّيخ محمّد الفاضل بن عاشور والأستاذ محمّد بدرة.

1952 ـ (13 فيفري). تعطيل جريدة "تونس" وتوقّفها عن

الصّدور نهائيّا.

ـ نشر زين العابدين السّنوسي لكتيّبات حول محمود قابادو ومحمّد بيرم الخامس، وعبد الرّحمن بن خلدون، والوطنيّة في شعر ابن حمديس إلخ...

ـ (5 ديسمبر) قتلت منظّمة "اليد الحمراء" الزّعيم النّقابي فرحات حشّاد.

1953 ـ (جانفي): نشر زين العابدين السّنوسي لسلسلة من المقالات في مجلّة النّدوة يعرّف فيها ببعض أعلام عصره في الأدب إلى غاية سنة 1957.

1954 ـ (13 جويلية) قدوم منداس ـ فرانس الوزير الأوّل الاشتراكي إلى تونس ليعلم الباي بنيّة فرنسا إعلان استقلال تونس الدّاخلي.

1955 ـ استقلال البلاد الدّاخلي.

1956 ـ (20 مارس) إعلان الاستقلال التّام لتونس.

ـ تعيين زين العابدين السّنوسي مديرا للمطبعة الرّسميّة للدّولة التّونسيّة لمدّة قصيرة.

1965 ـ (27 أفريل) موت زين العابدين السّنوسي بسكتة قلبيّة أثناء مباشرته لبعض الأعمال المنزليّة.

الأقاصيص

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE TUNISIENNE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

ملاحظة:

ـ ما جاء بعد هذين المعقّفين () فهو من وضع السّنوسي.

ـ ما جاء بعد هذين المعقّفين [ ] فهو من وضعنا.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

❁❁ 1 ❁❁

الحبيبة (*)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

* هذه القصّة، نشرت بمجلّة "العالم". بالعدد الثّاني من المجلّد الأوّل. فيفري 1930. بإمضاء المحدّث.

لقد قرأها زين العابدين السّنوسي بالنّادي الأدبي لجمعيّة قدماء الصّادقيّة يوم الاثنين 13 جانفي 1930. وقد جاء هذا بمذكّرة الشّابي بالتّاريخ المذكور. وقد وصفها بأنّها "...قصّة تونسيّة حاول أن يمثّل فيها بعض العادات التّونسيّة، وصوّر فيها بعض الأوهام الخرافيّة الّتي تستحوذ على عقول العذارى الشّابات. واستعمل فيها طائفة من التّعابير التّونسيّة الخالصة الّتي لم تألفها العربيّة ولكنّها لا تأباها قواعدها". وقد وقع الجدل حول لغة القصّة الّتي تباينت حولها الآراء رغم إيمان زين العابدين بما يكتب. وهنا يمكن معرفة مدى اطلاع وتشبّع السّنوسي بفنّيات الكتابة القصصيّة.

أمّا محمّد فريد غازي فقد نقل في كتابه القصّة والرّواية ما لاحظه الشّابي من أنّ هذه الأقصوصة "...صورة لزواج تقليدي بأسلوب كلاسيكي؟

وقفت العربة أمام باب مفتح على مصراعيه يتوسّط عتبته فتى في الثّانية عشر من عمره باسم المحيّا يتلهى بإثارة الرّمل الأصفر بحذائه ليظهر دوائر صغيرة من حدب الحجارة المرصوفة بها الطّريق، حتّى إذا نزل السّائق وضرب بلور العربة على الرّاكبات يستفهمهنّ:

ـ هل هي الدّار المقصودة؟

رفع الشّاب طرفه بلباقة إلى السّتار المسدول، فلم يتحرّك طرف منه ولم يجب إنسان.

وعندها تشوّف الفتى وسأل السّائق:

ـ عائلة من؟

ولكن صوتا أشجّ [1] هبّ من داخل العربة:

ـ قل للرّجل الّذي على الباب يترك لنا الطّريق لندخل، أوه! عوض أن يأتنا بالسّتارات يريد أن يعرف...

---

[1] في النصّ أشجّ ولا وجود لهذه الكلمة في المعاجم العربيّة. وربما كان قلب الحروف لما أثبتنا فكان ما جاء في لسان العرب. فالأجشّ من الأصوات: هو صوت من الرّاس يخرج من الخياشيم فيه غلظ وبحّة، فيتبع بحذر موضوع على ذلك الصّوت بينه ثم يتبع بوشي مثل الأوّل فهي صياغته.

فارتبك الفتى أمام هاته المفاجأة بالحملة واللّقب الجديد (قل للرّجل) ثمّ أسرع إلى دكّة السّقيفة فأتى بلحافين أعطى أحدهما للسائق ثمّ انبرم بالثّاني فذاره على ظهره وصعد على مغزل العجلة مستندا على عارضة الباب بحيث كون حجابا محكما بين الاثنين من طرف الطّريق وباب العربة. وهكذا عمل السّائق باللّحاف الثّاني.

نزل من العربة في هذا الممشى الوقتي المحكم فتاة رشيقة هيفاء في ثياب عاريّة من الحرير المخضّر تتماوج وروده المتثانيّة على سراويل فضفاضة، وتحصر نصف ثديها الأيسر في ثوب صغير بينما يعمّ هذا الثّوب ثديها الآخر بإحكام لا يزيده إلاّ فتنة ثمّ تنسدل منه أكمام كالهباب المهلهل تتماوج عن نفسها ثمّ تلتقي مع كفّ اليد في (مقياس) من الإبريز هو كلّ حليها لو كان ما تحمله الغواني حليا! وقد رفعت يدها العاريّة إلى شعرها الذّهبي الفاتح تحجز به خصلات تلك الأشعّة تتفقّد إحكام تجعّده ونظامه.

ونزلت خلفها امرأة وسط تصلح من ثوب نفسها وتهتمّ بتفقّد ثياب الطّفلة الغويّة إلى داخل السّقيفة، وهنا التفتت إليها قائلة:

ــ رشّيه في الوسط تماما.

ــ مرّي أنت عن اليمين، ولا عليك.

ودخلت الفتاة بزهوها وابتسامتها الفاتنة فتطايرت العيون، ورحبت (العوادة) (1) فنفحتها بورقة ذات 50 فرنك ثمّ اخترقت الحشد الّذي كان يتفتّح أمام شبابها بعناية غريبة حتّى إذا قدمت على مرتبة العروسة ووقعت عين هاته على تلك البسمة الفاتنة اقتبلتها بابتسامة كانت ستشفّ عن نواجدها [2] لولا أن كبحتها التّقاليد المرعيّة من الحشمة والوقار اللّذين يجب أن تلبسهما العروسة يوم زفافها. وفي الحقيقة فإنّ ضياء تلك البسمة أزاح كثيرا من التّساؤل الّذي بدأ بين العائلتين المتناسبتين إذ اقتنع أهل العروس أنّ القادمة إنمّا هي من قريبات كنّتهم فتزلّفن إليها

1) ــ العوادة هي الموسيقى المحلّية وترحيبها أنّما هو أغنيّة الإقتبال.

[2] ــ كذا في الأصل. نواذجها.

بالتّزحزح عن مقاعدهنّ، بينما أحجم أهل الزّوجة عن السّؤال تحت تأثير حفاوة أنسابهم بالزّائرة الجديدة.

ما كادت الزّائرة الجديدة تقعد بين شابات الصّف الأوّل (الحضّارات) حتّى أعلن وصول العروس وقام شدو المغنّيات بالتّرحيب يغطّي جلبة لا تتبيّن فيها إلاّ كلمات محدودة:

ــ وسع يا بنيتي لنتخبّأ، إنّه داخل.

ــ ولماذا أتخبّأ أنا! هل أعين العروس أعين...أخرى؟

ــ أوه! ادخلي البيت، العروس داخل.

ــ اتركيني يا عمّتي أتفرّج! هل يرى العروس غير امرأته؟!...

ووقفت العروسة تمسكها (الحنّانة) (2) من يسارها وتحفّها الشّابات يتدافعن وينزوي بعضهنّ وراء الجسورات في شبه هلال، وظهر على عتبة السّقيفة شاب في الخامسة والعشرين في أثواب وجبّة حريريّة بيضاء يقيّد خطوه (كنترة نصف ساق) حذاء

2) ــ الحنّانة: المشاطة المكلّفة بزينة العروسة.

صغير لا يكاد يقي جواربه من الأرض إلاّ بالمشي على أصابعه.

وقدّمت (الحنّانة) العروسة في أثوابها اللاّمعة وشعورها الفاحمة إلى العروس الّذي أخذها من يدها وأدخلها البيت حيث شربا (الشّربات) (3) في كأس واحد ثمّ تفرّق جمع الشّابات وأغلقت الحنّانة البيت عليهما.

*****

أيّ لغط حدث وأيّ تساؤل وضجّة قامت بين الزّائرات لما رأين الزّائرة الغريبة تهمّ بالخروج وترسل في طلب عربتها بمجرّد خروج الزّوج دون أن تهتّم (بالمحضر) الّذي سيعقد أو تتناول فطور الوليمة.

ما كادت العربة تسير حتّى قالت الكبيرة لسيّدتها:

3) ــ الشّربات: ماء السّكر المعطّر.

ـ تبارك اللّه وما شاء اللّه على زينتك وشبابك! واللّه ما عادلتك بنت امرأة في (الحضّارات)، وهم ما لقوا إلاّ (أمّك جنينة) لعروستهم حتّى أخرجتها كأنّها (حرمولة)؟ (4) وكم وضعت لها من الأحمر على خدّيها! وتلك الحواجب، لقد جعلتها كأنّها عابسة! مسكينة الطّفلة. أنت ماذا رأيت من نظرات سي حسن؟

ـ لقد نظرني كثيرا ونظر إليها! وهل تظنّ عمّي الحاج...

ـ أوه! عمّك الحاج يده تجمّد الماء. إلاّ إذا كان منّك.

ـ ...؟

ـ قدّامي! ما شاء اللّه عليك! إنّما قلت لك: عندما دخلنا للبيوت وبقيتم صغارا صافين، الأهمّية في عين العروس.

ـ وماذا غير تلك الابتسامة الّتي أوصاني بها؟ إنّها لم تفارقني، واللّه أحسّ أحناكي وجعتني.

---

4) ـ حرمولة: وجه مسخرة.

ــ ما شاء اللّه علــى ضــحكتك وتبــسيمتك! وراس بنتي العزيزة ما تبيت الخميرة إلاّ عندك الصّبر بركة...

*****

ومع أنّ ثقتهما في يد عم الحاج (التّي تجمّــد الماء) لم تكن قليلة إلاّ أنّهما لم تكونا تتوقّعــان ذلــك الفوز القويّ الباهر، فلم تبلغ بهما العربة العلو وتطلّ (الدّهريّة) من النّافذة حتّى بغتت وهتفت:

ــ إنّه على العتبة! هدّي نفسك واللّه ينــصرك عليه.

... وما أطلّت الفتاة حتّى كانت العربة واقفــة ورأت نفسها مع العروس وجها لوجه فلم تبغــت ولا ارتبكت بل إنّها اقتبلته بنفس الابتسامة الفاتنــة الّتــي حرضها عليها عم الحاج ففــتح لهــا بــاب العربــة فارتكزت على يده وقفزت إلى العلو، الأمــر الّــذي باغته بعض الشّيء ثمّ رأى صاحبتها فلم يمهلها:

ــ لماذا أتيت بها للدّار!

ـ لم آت بها بل إنّي امتنعت من المشي معها ولكنّها هي الّتي أرغمتني.

ـ ماذا فعلت لك (أمّي حلّومة) أتريدني أذهب وحدي.

ـ ألم أقل لك لا تذهب؟

ـ وهل أنا مملوكة! أردت أن أعرف ماذا عندها خيرا منّي؟ فلقيتك ما أخذتها إلاّ لأجل فلوسها.

ـ أتقولين فيّ مثل هذا! ومع ذلك ما ضرّك أنت؟ لقد رأيتها وعرفت حقيقتها فهل تحسبيني أتحوّل عنك، إنّ أبي هو الّذي خيّرها لأنّها ابنة شريكه ومع ذلك فلو كان أبوها حيّا...

وهنا ضرب الحوذي الباب ففتحه ثمّ دفع له أجرته بينما كانت (أمي حلّومة) تضحك إلى وذنيها وتشمّر عن ذراعيها لإحضار الفطور.

❁❁ 2 ❁❁

عجــز أديب (*)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

* نشرت هذه القصّة بمجلّة العالم الأدبي. المجلّـد:1. ج:1. افريـل 1930. ص: 20 ــ 21. بإمضاء المحدّث.

رغم الخصوصيات الفنيّة لهذه القصّة فالنّقـد لـم يتعـرّض لهـا لا بالسّلب ولا بالإيجاب. والواقع أنّ كلّ أقاصيص السّنوسي لم تنقد، وكلّ ما جاء حولها ملاحظات عابرة هشّة أيضا لا تنبئ بأنّ الّذي اطّلع عليهـا قـد حـاول استقراءها.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

كنّا على المائدة ثلاثة، وكان صاحب الدّار يهتمّ بنا وبراحتنا، ويغمز البنت الصّغيرة المكلّفة بتقديم الطّعام بين الفترة والأخرى أن تعتدل في وقفتها، وأن لا تضع يدها في رأسها تحكّه، وأن تمدّ ذلك اللّون أو هذا الصّحن، حتّى إذا لم تفهم أو كانت متشاغلة عنه، نزع الفوطة من رقبته، وقام إلى الصّحن فمدّه بيده، ثمّ جلس إلى مكانه. وإذا بفوطته قد اختفت، فينظر تحت المائدة لعلّها سقطت، ويرفع طرفه إلى (السّيرفانت) (1) لعلّه تركها عنها عندما أخذ منها الصّحن، ويضع يده في جيبه لعلّه اعتبرها منديله، وأخيرا يصيح بالفتاة الخادمة:

ــ أين فوطتي؟

1) ــ السيرفنت: خزانة قصيرة يصفّ عليها الطّعام إلى جانب المائدة.

وإذا بفوطته على ظهر كرسيّه! فكان ضحك أخرجنا من ذلك الجدّ والاجتهاد الّذي كنّا نبذله في تناول الطّعام صامتين.

وعندها قال (حسن...):

ــ ما أبدع النّكتة على الطّعام، وفي الحقيقة فإنّي أرى الصّواب مع الأوربيّين الّذين اعتادوا أن يتّخذوا من مائدة الطّعام مجتمع سمر، فهو أعون للمعدة وأروح لها...

ــ حقّا!! ولكنّنا اعتدنا أن لا نطيل الجلوس عن الطّعام بل نستعيض عن تلك اللّذة بإطالة ترشّف كؤوس التّاي بعد الأكل.

ــ لا بأس من تناول كأس ساخن بعد الطّعام، ولكن تناول الأكل أوفق أن يكون براحة، حتّى إنّ للأوروبيين منطقة مختارة من أحاديث المائدة وحتّى خطبها، ولشعرائهم نكتة غريبة ولطائف مستملحة مخصّصة لذلك.

قال ذلك وانشغل بتعبية شوكته من (الفاصوليا) الّتي في طبقه، فابتسم ربّ الدّار وغمزني بعينه ثمّ قال:

ــ إذا لا بدّ أن تكون قد أعددت لمائدتنا هاته نكتة مستملحة أو قصيدة تسيغ لنا لقما زائدة.

ــ لم يخطر لي هذا الموضوع إلاّ الآن.

ــ ولكننّا لم نسمع منك شيئا منذ مدّة.

قال ذلك مضيّفنا وهو يبتسم، على أنّ صاحبنا لم يستاء ولا اهتمّ بتلك البسمة بل اجتذب من جيبه حزمة أوراق مطويّة وأخذ يقلّبها حتّى إذا اختار أحدها حلّ طياتها الباليّة وقال:

ــ إنّها لا تناسب هاته الأكلة الشّهيّة، ولكنّها الشّعر الوحيد الّذي أحمله الآن وقد كنت أحمله منذ حول لأنّي منذ بدأت هاته القصيدة لم أتمكّن من إتمامها فبقيت مطلعا، دون تتمّة ولا خاتمة، وفي الحقيقة فإنّ المنظر الّذي أردت وصفه هزّ كياني فأنطقني بتلك الكلمات ثمّ كبر عنّي فسكتّ منتظرا سكونه في نفسي حتّى يلين فأتمّها. فقد دخلت على

زوجة عمّي (الحسين) زوجته الأخيرة في اليوم الثّاني لوفاته فإذا بها غارقة في السّواد حذو ضرّتها المتروكة الّتي هي أمّ أبنائه وكأنّها حفيدتها البلهاء! فهاجني منظر جمود الكبيرة إزاء موت عشيرها إلى جانب بكاء هاته الصّغيرة الحزينة على ذلك الأشيب الّذي لم تعاشره إلاّ عشرين يوما من العشرين سنة الّتي عرفت فيها الأرض، وقد فاضت روحه أوّل البارحة على صدرها ولكن شبابها وزهوها قضتا أيضا في شيبته الكثّة الّتي أراد أن يطرّيها بهاته الحوريّة الصّغيرة، فاستظهر زوجه المريضة وبنيه، ونسي الخمسة وسبعين حولا، واستقبل الشّباب مندفعا اندفاع الشّيوخ في استرضائها بتصابيه وإخضاع بنيه، وتضحيّة كلّ عزيز عليه، لينسيها تضحيّتها والبون الّذي بينه وبينها، فإذا حركته لا تعبّر إلاّ عن رقصة المذبوح! وقد سقطت جميع آمالها في لحظة، وانطوى المذبح ورفعت القدسيّة، فإذا بها تقدم نضحتها لغير ناظر ولغير سميع.

نعم، إنها أصبحت وارثة لقسم مهمّ من تلك الثّروة زيادة عن وقف كتبه باسمها يوم زفافه تتناول ربعه ما دامت لم تنقض وفاءه. ولكن ذلك كلّه لا يساوى شيئا ممّا أطمعها فيه والدها من جاه في كنف الشّيخ وحرمة وزهو برعاية ذلك السّري الماجد. فقلت:

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

وجمت وأخرسها الأسى
وتجمـد الطّرف السّخين

ورنت بناظر تـــائه
يرجـو؟ ولا يرجو معين

ففتحت فـاي إلى العزاء
فلـم أجد قولا يليـــن

كانت تـــرى في نفسها
كلا تضيـق به الحصون

والزّوج يمـــلأ كفّها
قـــبلا فيمـلأها يقين

فإذا القضـــاء مسلّط
وإذا العتـيد غـدا دفـين

وإذا السّـــلاح محطّـم
وإذا بـها الفـرد السّجين

غمرتها ألحـــاظ جياع
من عيون الـــوارثين

فإذا الـــذّي يسترضها
بالأمس ينظرهـا حرون

صبروا فلمـا أن قضى
جهـــروا بمختلج كمين

فتبلّه العقـــل السّليم
و.....

وهنا وقفت القافيّة وسدّت مذاهبها إذ هـاجتني مشكلة لا بدّ من بسطها في ضمن هاته القصيدة هـي مشكلة الآباء الذين يغرّون بناتهم طمعا في ميراث أو جاه ينالهم على طريق ذلك المتجر، غير مفكّرين في ما سيصيب تلك المخلوقات الضّعيفات مـن صـدمة، وانتحار مقنّع.

وتأديّة ذلك في كلمات معدودة بصفتها فكـرة اجتماعيّة هو من السّهل العادي، ولكنّي أريد الوصول إليه من طريق الشّعري القصصي دون أن أنّبه عقـل السّامع أو منطقه، وإلاّ خرجت القـصيدة مـن بـاب الشّعر وأصبحت دراسة ودرسا!

ــ وماذا تريد من وراء كلّ ذلك؟ فليس مـن المعقول أن تقيّد التّزاوج بأسنان بعينها، فقـد يحـدث الحبّ المتبادل بين من لا تتناسب أعمـارهم. وفـي واقعة عمّك نفسه قلت إنّ الّتي بكته إنّما هي الصّغيرة فهي إذا تحبّه.

ـ إنّها إنّما أحبّت جاهه بإغراء أبيها وتغريره لا باختيارها وغريزتها. وهذا ما أرجأت الإتمام لاختماره فيمكنني التّعبير عليه.

ـ وما هي حيلة الشّرائع في مثل هذا التقرير الّذي لا يمكن أن نمنعه ما دام هناك ذكي وغبيّ، وما دام هناك أغرار وذئاب.

ـ أنّا لم أعلن ظفري بالدّواء، ولم أضع قصيدتي له، بل حسبي تشخيص الدّاء لا غير.

وكانت عاقبة هاته القصيدة والتّمهيد الّذي قدّمه بين يديها ثمّ التّعقيب الّذي أطنب فيه: أننا أحسسنا الشّبع، فقد التهمت ما في الصّحن حذوي دون أن أشعر، والتهم مضيّفنا خبزه فتاتة فتاتة وهو يستمع الشّاعر، وإنّما الغريب في الأمر هو كيف شبع (حسين)؟ اللّهم أن يكون كثرة ما مضغه من كلام كافيا له عن الطّعام! فإذا كان ذلك كذلك فياله من اكتشاف هائل! وياله من انتصار للأدباء على أزمة المعاش وارتفاع الأثمان!

❁❁ 3 ❁❁

حديث شاب مسلم
مع باريسيات حسان (*)

المكتبة الوطنية التونسية BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

*) ــ نشرت هذه القصّة بالعدد 2. من مجلّة "العالم الأدبي". افريل 1930. بالصّفحتين: 21 و22. تحت إمضاء المحدّث. وأعاد نشرها بمجلّة النّدوة. السّنة الرّابعة بالعدد التّاسع .ديسمبر 1956. بالصّفحات 50، 51، 52، و53. بإمضاء زين العابدين السّنوسي.

يرى محمّد فريد غازي أنّها تمثّل كلّ خرّافة باريس مدينة اللّذات. وبحماسه المعهود يتصدّى زين العابدين السّنوسي لما علق بالرّؤوس من أساطير خاطئة حول الإنسان المسلم.

ويرى الأستاذ جعفر ماجد أنّها وضعت لرفع الالتباس والتّصدي لأفكار مسبّقة ودفاعا عن الإسلام الّذي فهم غلطا.

ونلاحظ من جهتنا صدى أثر كتاب الطّاهر الحدّاد "امرأتنا في الشّريعة والمجتمع" الّذي صدر حديثا في تلك الفترة الزّمنيّة.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

صديقنا الّذي ننقل اليوم حديثه إنّما هو أنموذج كامل من الشّباب التّونسي العامل الحازم، وقد نشأ مسلما مؤمنا باللّه واليوم الآخر ممّا أعانه على ذلك الجهاد الكبير في معتركه الاقتصادي بصبر لا يكاد يتراءى له اليأس أو القنوط، فلا يكاد يشعر بأزمة أو اضطراب حتّى يرجع إلى صلواته ملتجئا إلى الكريم المنّان، على أنّه في أيام يسره لا ينسى واجبه ذلك، إنّما للأشغال والظّروف أحكامها، ولطالما رأيته ــ في المناسبات ــ يتحسّر على ذلك التّضييع والإهمال الّذي لا يجد عنه مندوحة رغم حسن القصد ورغم عزم يتراءى ساعة بسط الموضوع. فلمّا قابلته هاته المرّة وجدته آيبا من باريس، وهو يلهج بباريس وأخلاق الباريسيين وظرف الباريسيات...

*****

...ولقد بلغت أروبا من حرّية الرّأي، وانعدام التّعصّب الفكري، مبلغا قصيّا. فرأيت من الأروباويين

استعدادا غريبا لهضم الحقائق التّي تقدّم إليهم، مهما كانت غريبة عنهم بعيدة منافرة لما درجوا عليه.

كنت في باريس على مائدة صديقي وشريكي وكانت ابنته الآنسة "جورجات" إلى يساري ووالدتها "ماري" عن يميني، والسّيد "أنتوان" على رأس المائدة قبالتي وعن يساره بنت أخيه المتوفي "ليلي" الشّقراء، وهي من خفّة الرّوح واللّطف بحيث تكاد العين تبتلعها كاملة بجمالها وظرفها ودعابتها!

وامتدّ بنا الحديث عن خصائص ديني الغريب عنهم ــ ولا يكاد المسلم يلمس أرضهم حتّى تراهم سائلين عن دينه ودخائل عقائده بحيث يكاد هذا الموضوع يأخذ له جميع أوقاته ــ فكنت أبسط لهم حقائق الدّين الحنيف فكانوا يعجبون من بساطة العقائد الإسلاميّة وملاءمتها لروح التّعاليم المسيحيّة حتّى استوقفتهم على فرق كبير بين سير المسيحيّة والإسلام، فإنّهم يرون مسألة الوسيط فيلتجئون إلى الرّاهب يعترفون له بذنوبهم فيتوب اللّه عليهم، في حين أنّنا لا نعتقد ذلك إذ نرى في الذّات العليّة الكمال

المطلق، فلا يحتاج لوسيط يطلعه العبد النّادم على دخيلة أمره! فمن مبادئنا الإسلاميّة (إذا عصيتم فاستتروا) واللّه لا تخفى عليه خافيّة وإن لم تدركه الأبصار. ثمّ قلت لهم ــ ولا أحسب هاته (الاعترافات) إلاّ من إضافات الكنيسة، لا من عنصر الدّين الّذي جاء الإسلام على قدمه ولا نزال نؤمن بكتابه. وأذكر أنّ في الزبور ما معناه "وإني لأقرب لعبدي من نفسه الّتي بين جنبيه" وقد ترجمت ذلك المعنى عن قصيدة عربيّة كان بعضهم ترجم بها الزبور عن الفارسيّة وقد أحفظنيها والدي لأستعملها "وردا".

وهنا التفتت "ليلي" إلى عمّتها محدّقة بعينيها ثمّ قالت لجارتها الآنسة:

ــ أسمعت؟ "جورجات"! حقّا، ذلك هو قول اللّه. ومع ذلك أليس الاعتراف رقاعة.

ولم تتمالك على مائدة التّاي أن تقول لي (حقّا، إنّ فصاحتكم ــ وإن لم أركم إلاّ اليوم ــ لتكاد تهدني إلى دينكم، وإنّك لجذّاب!) فقلت:

ـ لعلّ روحينا تقابلتا.

ـ تقابلتا؟ وكيف.

ـ إنّنا نعرف أنّ اللّه لما خلق عالم الأرواح استعرضه صفّ صفّا، بحيث يكون كلّ صفّين متقابلين، فما تقابل هناك أتلف هنا، وما تظاهر هناك اختلف هنا. أليس الواحد منّا قد يقابل هذاك لأوّل مرّة فتنقبض نفسه لأوّل وهلة أو تنبسط روحه إليه ويشعر له الشّعور العميق الّذي قد لا يتمّى مع غيره في الزّمن الطّويل؟

وهنا قالت السّيدة "ماري":

ـ حقّا! إنّ الإنسان قد ينقبض ويشمئزّ من إنسان قابله لأوّل مرّة، وإن لم يكن هناك موجب للتّباغض.

فلمعت عينا "ليلي" وسألتني:

ـ أه قل لي إذا، لما رأيتني لأوّل مرّة، هل أحسست بأنّ روحينا تقابلتا هناك أم متظاهرتين؟

فبغتّ وفتحت فاي دون أن أعرف بماذا أجيب، على أنّ اللّه أنقذني إذ هبط عليّ الجواب فقلت:

ــ من أمثالنا (القلب على القلب) ومعنــاه أن الوقع يجب أن يكون متبادلا، فاسألي أنت قلبك مــاذا كان موقعي فيه تعرفين منه كيف كان إحساسي أنا.

ولقد بلغ من تأثّر الآنسة "ليلي" أنّها رقــصت معي تلك اللّيلة ستّة أشواط ومع أنّني ســافرت فــي صباح الغد فقد وصلني منها مكتوبان لطيفان، وحتّــى أنّها أكّدت عليّ إخطارها بكتاب يحفظ لها في نافــذة البريد أعيّن فيه يوم رجوعي لباريس الّذي سيكون في الشّهر المقبل إن شاء اللّه.

*****

على أنّ الشّكوك كثيرا ما تخامر نفوسهم مــن ناحيتنا لكثرة ما يسمعون عنّا من تهاويل وتخرصات، فإنّها بعد أن تناولت كأسها من المقصف فــي نهايــة الدّور الرّابع سألتني فجأة:

ــ أحقّا أنكم لا تهتمون بالمرأة ولا تعتبــرون لها حقّا، ولا حرّية، وتختزنونها اختزان المــؤن فــي قعر الدّور ولا تسمونها إلاّ بكلمة "الحريم"؟

ولكنّي تناولت يدها في رفق ــ وفي الحقيقة فقد شعرت بنار الحياء تصبغ وجهي ــ ثمّ أشرت عليها بأنّها ما دامت تريد أن تعرف الإسلام فلا يجب أن تحاكمه وعقلها أسير تخرصات أعدائه. ثمّ أفهمتها الحالة الأسيفة الّتي كانت عليها المرأة الجاهليّة الّتي كانت توؤد بالحياة، ثمّ كيف جاء الإسلام فجعل لها شخصيّة قائمة، وأعطاها حقوقا لم تمكّنها منها ــ حتّى اليوم ــ الشّرائع الوضعيّة. بحيث أنّ المرأة المسلمة هي المتصرّفة وحدها في أموالها الأمر الّذي لم تحلم به المرأة الفرنسيّة! بل إنّ الرّجل المسلم إذا أخذ نصرانيّة كان عليه أن يسدّ حاجتها حتّى من الخمر الّذي حرّم اللّه عليه في غير هاته الصّورة حمله وحضوره، بل أوجب عليه شرعنا العزيز مصاحبتها في غدوّها ورواحها ــ إذ أحبّت ــ لمعبدها حتّى تتمكّن من القيام بفروضها الدّينيّة.

ــ أهذا حقّا يوجبه دينكم؟ إذا فقد كذبوا عليه، إنّي شعرت بهاته الحقيقة من أوّل وهلة، منذ حديثنا

الأوّل في العشاء! فيا لسعادة زوجاتكم إذا!هل تميلون إلى الفرنسيات؟

ولم يقطع عنّا ذلك الحديث إلاّ ظهور شاب أصفر جاء يسألها أن ترقص معه الشّوط الجديد، فاتبعته ولكن بعد أن قالت في أذني:

ـ إنّي أمقته.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

❋❋ 4 ❋❋

من ضحايا الانقلاب (*)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

* نشرت هذه القصّة بمجلّة العالم الأدبي بالعدد السّادس من المجلّد الأوّل. بالصّفحات: 25، 24 و26. أوت 1930. بإمضاء المحدّث.

يرى الدّكتور فريد غازي أنّ الكاتب في هذه القصّة أراد أن يبرز خطر الحضارة الغربيّة على العائلة التّونسيّة.

ويرى الأستاذ ماجد أنها صورة صحيحة تعكس حياة واتّجاهات فئة قليلة، رغم إنّها ضيّقة كانت تمثّل باستمرار فضيحة قائمة في نظر البرجوازيّة المفكّرة.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

كنت مارا في أواسط شارع باريس متّجها نحو بستان الخضراء "بلفيدير"، وإذا أنا بصديقي القديم"أحمد ج. "عاري الرّأس مفتّق الأطواق ينتعل "بنتوفلا" دون جوارب فعجبت لأمره وقد عهدته منذ بضع سنوات يشدّ رأسه بعمامة وينتعل "كنتره" صفراء فاقع لونها تسرّ النّاظرين على جوارب ناصعة البياض، وإن كنت أعرف منه الأفكار المتطرّفة، فأنا أعرف عنه أيضا الحماس الوطني وغريزة المقاومة الأجنبيّة. فلم أتمالك أن قلت له:

ــ سي أحمد! وكيف، أنت هنا؟

قلت ذلك واستوعبت مظهره الشّاذ بنظرة ناقدة شاملة.

ــ أنا هنا أمام "فلّتي" كيف أنت؟

ــ الحمد للّه! لكنّك تغيّرت عنّي تغيرا كبيرا. أين أصبحت تعمل، ألم تعد في "الأوقاف"؟

ــ بل هناك دائما أعمل في تفقّد نيابات الآفاق. لم أتغيّر.

ــ ولكنّك تغيّرت عمّا كنت عليه في "المدينة".

ـ المدينة، تريد يوم كنت في "نهج ابن خلدون" تبّا لهم! ولماذا أبقى هناك! إنّهم خبثاء فسّاق يريدون منّي أن أحي معهم على خبائثهم ونذالتهم. وإلاّ اضطهدوني. تبّا لهم ولبلادتهم. فقد تعرّضوا لي، وحاولوا الإيقاع بي وهناك حرمة زوجتي لولا تدخّل البوليس الّذي فرّوا منه كالأنذال، وفي الغد أصبح "عم الحاج صالح" نفسه أمام حانوت العطّار يشيع المسألة ويهوّل منها، وهو الّذي أغراهم بي، ثمّ أعاد الكرة ثانيّة وثالثة. وقد أعلمت البوليس بذلك ولكنّه لم يتمكّن من إثبات حجّة الإغراء عليه ولا تمكّن من ضبط أولئك الصّعاليك الّذين حرّموا عليّ لذّتي وضايقوني بحجّة أنّ المرأة لا حقّ لها في التّفسّح ولا في دخول المسارح! وأخيرا، اغتنموا فرصة افتتاح مسرح "الكابتول" فتخيّروا ليلة ذهابنا إليه ونزلوا على الدّار فسرقوها. ولقد تمكّنا من استرجاع معظم المسروق وحكم على السّارقين، ولكن "عم الحاج صالح" بقي بعيدا عن كلّ طائلة ولم نتمكّن من إدخاله في الأحبولة

الّتي نسجها، إنّه كالبرغوث يقرس ويده تحته! فيالـه من نذل.

ــ ومن قال لك أنّه هو المحرّض لهؤلاء؟

ــ واللّه هو المحرّض الوحيد! كنت في أسبوع زواجي ــ منذ عامين ــ خارجا مع زوجتي ذاهبين للمسرح، وكان هو أمام العطّار يشتري ربع ليمونة، فلمّا رأيته في فم الزّقاق أشرت لها بيدي لتختفي حتّى يمر، وكان داخلا، ولكنّه وقف يعاتبني عن خروجي للسّهرة في أيام زواجي، فكنت أنظر تكّته النّازلة إلى أكعابه وعرّاقيّته الوسخة على رأسه الأشهب وإلى أزرار فرملته المتآكلة المتهدّلة، وقد برزت منها جيوبه الدّاخليّة فباحت بكلّ ما فيها من أوراق وسخة وقراطيس مشوّشة ومكاتيب لا يقلّ عمر الواحد منها عن العشر سنوات. وأخيرا جاء اللّه بساعة الفرج فرأيته يتحوّل، وعرفت أنّه انتهى من خطبته الّتي كان يلقيها، فشيّعته بتصبيحة، فوقف وردّها بتأن وطول بغيض وأنا لا أصدّق أن يدخل. ولمّا مررنا أمام بابه، سمعت زوجتي امرأته "أمّي فطّومة" تنهره "عامل

تتمشيخ" هاك الحساء طاب (نضج) بدون ليمون، مع أنّي اشتهيته باللّيمون! إنّ العيش معك مرّ... ماذا أعمل به الآن...

وإذا به يخرج في الحين ليرجعه فيصطدم بي وبزوجتي ويقف فاغر فاه وقد سقط منه قرطاس اللّيمون المملّح، ومع أنّي حييت منه بعض الحياء تقديرا لسنّه إلاّ أنّي أتممت طريقي. ولكنّي لم أصبح في الغد حتّى رأيت النّاس كلّهم ينظرونني بعين غريبة لا أعرفها، ورأيته هو يعرّض بما رآه ويقول للعطّار عند مروري:

ــ اللّهم لا تعاملنا بأفعال هذا الجيل! إنّ اللّه ما أوقعنا إلاّ بأعمالنا...

ومنذ ذلك اليوم أخذت الوقائع تتوالى وتتابع، وأخيرا جاءني اللّه بـ"الكنت سيبان" الّذي اشترى دارنا تلك، وها قد عوّضتها بهاته الّتي ترى روضتها الظّريفة، وأجواري هنا من الأوربيين وهم لا يهتمون بأجوارهم ولا يتجسّسون عن إنسان. إنّها أصغر من

دارنا الأخرى كثيرا، ولكنّها جميلة وظريفة، هل لك أن تدخل تتفرّج عنها.

ـ حسنا.

ـ تفضّل... "الدّار" (1) ليست هنا، كنت أنتظرهنّ لمّا مررت. هاته عملناها بيت فطور واستقبال... إنّها واسعة على كلّ حال... ولماذا أوسع من ذلك؟ إنّ الخادمة اليوم تطلب الثّلاثمائة فرنكا شهريّا، رحم اللّه عهد "داده" الّتي كانت تشترى بخمسين ريال وتخدم حتّى تموت. هاته بيت النّوم...ها هو "مسيو بنزار" جاء بهنّ... سأرجع.

خرج وأغلق عنّي، وإذا هو يقول في لغة فرنسيّة مفريقة [1]:

ـ أرجوك المعذرة، فأنا هنا مع صديق عربي، كنت قرأت معه...لا...لا... ادخل معها البيت وسأخرج به حالا...لا يبطأ... لقد أعددت كلّ شيء... ستعمل لنا مثلّجا يا "مسيو بنزار" مثل الّذي عملته لها

1) ـ الدّار: هي كنية المرأة في الوسط التّونسي.

[1] ـ كذا بالأصل. وربّما كانت الكلمة مقرفة.

الأسبوع الفائت... تبّا له من تفقّد إني سأرتاح أسبوعين دون سفر... سأرجع حالا.

ثمّ فتح عنّي الباب وقال:

ـ اعذرني! فإنّ لـ "مسيو بنزار" عليّ أياد كبيرة... إنّه فكه الأخلاق. أتريد أن أعرّفك به؟

ـ شكرا إنّي ذاهب لمقابلة، فلا يمكنني التأخّر أكثر.

ـ إذا سترورنا في فرصة أخرى، اعتبره محلّك.

*****

كنت أهتمّ بالتّفرج على صومعة تستور؛ ذلك المدرج الحلزوني، وأستغرب هندستها الأندلسيّة الشّاذة عمّا ألفناه، حتّى إذا بلغت أعلاها وأشرفت على البلاد تجلّت لي الرّوح الغريبة الّتي أسّست عليها البلدة برمّتها، فليس في شوارعها تعاريج، ولا تتقاطع أنهجها عن زوايا حادة، بل كلّها مستقيمة واسعة، تبتدئ في خارج البلدة ويمتدّ البصر فيها إلى خارجها أيضا، وإذا أنا أرى قيافة صديقي"أحمد ج." مقبلا من

طرف النّهج، فأسرعت بالنّزول إليه، وقد وددت أن ألقي بنفسي من أعلى المدرج في هاويّة المحور الحلزوني، ولا أخال مهندسيه الأقدمين فرّغوا ذلك المحور إلاّ لمثل هاته الغاية في السّرعة وإن كان أضيق حلقا من أن يسع جسم إنسان، فإنّ من ينظر من أعلى المدرج يرى المحور المفرغ مستقيما مستديرا لا يعترض فراغه شيء، حتّى الأرض، فكأنّه ينظر في مهراس عميق وما جدران هذا المهراس في الحقيقة إلاّ جوانب ذلك المدرج الحلزوني تتعثكل وتمتدّ كخيوط "المولى" Ressort تقوم حلقاتها في تناسق حكيم.

ـ وأنت هنا أيضا؟

ـ ألا تعرف أنّي"موكل بفضاء الأرض أذرعه".

ـ إنّك في هذا الوظيف الشّاق منذ سنوات عديدة،

فلماذا لا تطلب الانتقال عنه، فقد أصبحت متزوّجا لا يحسن بك الارتحال...

ـ لقد طلّقتها منذ شهر، إنّها بريئة، ولكنّها طائشة لا تحتمل، ومع ذلك إنّها حامل!

ـ ...؟

ـ وماذا أصنع، لقد عملت معها ما لا يعمله غيري، ذهبت بها للمسارح، وغشيت معها السّينما رغم إنّها تتعب نظري، وانتقلت معها إلى الحارات الأروبيّة، وتعلّمت اللّغة الفرنسيّة إرضاء لخاطرها ولكنّها لم ترع شيئا وظلّت دائما جامحة لا تحسب لزوجها حسابا ولا تريد أن تسمع لي كلمة، أتعلم أن استبدال دار أبي بتلك "الفيلّة" التّي رأيتها جرّ عليّ خسائر لا تحد. وقبل الواقعة بيومين بلغنا أنّ عمّتي ستزورنا، وهي امرأة تقيّة صالحة ووالله كأنّ قلبي قال لي، فأوصيتها ولكنّها كانت طائشة، نعم أحسنت استقبال عمّتي وخالفتها، ولكنّها في الغد قالت أنّ مدام ف... استدعتها لحفلة غنائيّة عائليّة تقيمها فأعلمتها بلطف أنّ ذلك لا يكون خصوصا وهم قد يميلون إلى

الرّقص، وأنا لا أحبّه، فضلا على أنّ عمّتي هنا وربّما لا ترفض زيادة المبيت عندنا ليلة أخرى، وأخيرا بتنا غير متّفاهمين تماما. ولمّا رجعت في الغد عند الزّوال، رأيت عمّتي تلحّ في أن استدعي لها عربة حالا وأن أرجعها لدارها، وقد كانت في صباح يومها متساهلة في المبيت أيضا حتّى أنّي مررت على "سي الفرجاني" وأعلمته بذلك، فثارت شكوكي في معاملة زوجتي لها ولكنّني تغاضيت وأقسمت عليها ــ تطيبا لخاطرها ــ أن تبيت ليلتها... وإذا بزوجتي تنسى كلّ شيء وتقول أمام عمّتي:

ــ لا بدّ اللّيلة أن أسهر عند مدام ب...

ــ الظاهر أنّي لا يمكنني اللّيلة الخروج مطلقا، أحسّني مهشّم الجسم، وفضلا عن ذلك، ألا ترى أنّ عمّتي لا يمكن أن تبقى في الدّار وحدها.

وقد رأيت عمّتي تصطبغ خجلا وتقول:

ــ لا بأس فإنّي لا أخاف إذا بقيت وحدي.

ولقد شعرت بتلك الإهانة الّتي لحقت عمّتي المسكينة بسببي. وإذا زوجتي تقول:

ـ أنا لا أخرج إلاّ حول السّاعة الثّامنة ونصف وهي تنام باكرا. أمّا أنت فيمكنك البقاء هنا.

فأحسست أنّ الأرض تميد بي، وقلت لها في قهر:

ـ كلاّ سوف لا تذهبين.

ـ بل سوف أذهب، وسيأتي "المسيو بنزار" وأذهب معه.

وإذا بالجرس يطنّ، فعرفت الطّارق حالا، وخرجت توّا إلى الباب فتحته وبادرته:

ـ إنّ عمّتي عندنا ولا يمكننا الذّهاب أبدا.

قلت ذلك ورددت الباب دون أن اسمع جوابا إذ أحسست بها في أثري، وهناك في الرّواق أمام الباب قالت:

ـ أتركني أذهب معه إنّي سوف لا أبقى عندك.

ـ سوف لا تخرج اللّيلة ولكنك في الغد يمكنك أن تلتحقي بكلّ شقيّ.

وهكذا رفعني تيّار الكلام وحميّة حمقها إعلانها بالطّلاق ثلاثة واتّهامها بكلّ موبقة، وما هي بأهل لذلك كلّه، ولكن طيش الشّباب وخفّة روح "مسيو بنزار" جعلها تميل إليه، ولكن ألسنا مسلمين قبل كلّ شي! فإن حميّة الإسلام تأبى علينا أن نترك نساءنا في أيدي الرّجال الأجنبيين في السّهرات ولو كانت عائليّة، وقد نهيتها عنها مرّات كثيرة، حتّى في حفلة إعلان خطبة "مسيو فيلور" منعتها من الرّقص مع أيّ كان، ولكنّها تأبى الانصياع .

BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE
المكتبة الوطنية التونسية

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHÈQUE NATIONALE DE TUNISIE

❋❋ 5 ❋❋

عزاء العروس (*)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

* نشرت هذه القصّة بمجلّة العالم الأدبي بالعدد العاشر من المجلّد الأوّل، صفحتي 5 و6. ديسمبر 1930، بإمضاء المحدّث.

يرى الدكتور غازي أنّ السّنوسي تناول في هذه القصّة العادات القرويّة التي تخصّ الزواج.

ويرى الأستاذ ماجد أنّ السنوسي قدّم في هذه القصّة العواقب الوضيعة لعقليّة متزمّتة.

من جهتنا، نرى أنّ المشاكل الّتي أثارها السنوسي في هذه الأقصوصة أعمق من مشكل الزّواج. هناك وضعيّة الطّفل ووضعيّة المرأة أيضا.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

صاحبنا رجل أو فقل شاب أهمّ عناصره الإخلاص والنّشاط.

وهو بسيط من ناحيّة المعارف ولكنّه على فطرة طيّبة تعوض ما ينقصه من ثقافة.

عرفته أيّام الحركة الدّستوريّة عنصرا عاملا ودوّامة متحرّكة.

لا يكاد يتقرّر عمل شعبي أو يبدو تململ من الشّعب إلاّ وتراه هو السّاعي الجاد وراء جمع الكلمة على تنظيم المظاهرة وتعميمها بين أصحاب الحوانيت!

فلمّا قابلته في منفاه ببلدة... رأيت رجلا قد تغيّر من ناحيّة واحدة.

رأيته صار يسعى مساعيه القديمة جهرا فلم يعد يوارب أو يداري.

ولماذا يوارب أو يداري؟ ألم يصبح منفيّا سياسيّا!

إنّما أصبح النّاس هنـــاك يتحاشـــونه بعـــض الشّيء.

ولم يلبثوا أن رأيتهم في زيارتي الثّانيّـــة قـــد اعتادوه.

فصاروا يستعذبون قوله ويرددونه بينهم فـــي المناسبات السّلبيّة، ولكنّهم لا يحسّون أبـــدا بوجـــوب العمل به أو اعتماده لتغيير ما بهم.

وقد أصبحت أحاديثه كلّها حول تغيير ما بهم، بحيث لو تلوّنوا بقولـــه لأصـــبحوا غيـــرهم تمامـــا. لأصبحوا شيئا آخر.

ــ صباح الخير يا شيخ...

ــ صباح الخير! ولماذا لم تتركه عند المؤدّب؟ إنّ اللّه لم يجعلنا هكذا إلاّ لأنّنا لا نقرئ أولادنـــا ولا نتعلّم.

ــ هئ! بعثته للكتّاب، وطلع غير فالح.

ــ ابعثه للمكتب، أدخل، أدخل، أقعد.

ــ هئ! مشى، والرّومـــي أطـــرده، يحبّـــه لا يرعى ولا يلقّط معنا وقت الزّيتون.

ـ اشرب، بلّ ريقك، وصغير مثل ابنك، من حلل لك من تخديمه؟ ألا ترى النّصارى لا يخدّمون أولادهم الصّغار، كلّ واحد منهم يحمل "كرتابته" صباحا ويخرج! كيف نكون، وطنيين مسلمين ما لم نقرّي أولادنا!

*****

ذلك هو صاحبنا. وقد جاء من منفاه ولم يزدد إلاّ ثقة بنفسه وإدراكا للذّة التّضحيّة. فسكن مع بعض أهله شاطئ (الكرم) وأقام على معالجة بعض الأعمال اليدويّة يرتزق منها، فهو يركب كلّ صباح الرّتل معنا لينزل إلى العاصمة، ولكنّه لا يقضي أوقات الرّتل إلاّ في الجدل والخطب السّياسيّة ليحضّ النّاس على العمل وعلى الجهد لرفع شأن هذا الوطن، ومع إنّ صديقنا هذا من أصحاب العقول المتوسّطة لكنّه كما قلنا من أصحاب المبادئ الرّاسخة والعقيدة الوطيدة، فهو لذلك لا يهاب أن يماحك أصحاب الثّقافة العلميّة والشّهادات العليا.

*****

أما اليوم فقد وجدته مقبلا في مظهر عصبي. وكأنّه يفتّش عن مخلوق ضائع عنه. وقد حسبتني قادرا أن أسدّ حاجته تلك، فعرّضت بنفسي لنظره وصبّحته، ولكنه رمقني شزرا ولم يكلّف نفسه حتّى السّلام، فلم أهتم وعرفت أنّه يبحث عن شيء آخر غيري أنا، فمررت عنه وجاوزته إلى طرف الرّصيف مترقّبا الرّتل وإذا به يناديني ثمّ يقول لي بداهة:

ـ لقد كفرت وها أنا الآن لا أخرج من الدّار إلاّ بعد أن أسمعت عمّتي ما ملأ وذنيها. إنّهم أناس لا أخلاق لهم، إنّ اللّه لم يهلكنا إلاّ بأعمالنا. انظر كيف وقع. بعد أن تعيّن موعد الزّفاف في العام الفائت؛ زفاف ابنة عمّتي، اضطرّوا إلى تأخيره لإصابة الطّفلة بنزلة صدريّة خبيثة لم تلبث أن انقلبت إلى سلّ أعاذنا اللّه وإياكم، وطال المرض بالطّفلة، وهي ليست صغيرة فقد تجاوزت العشرين، وكان الزّوج يرسل بين الفترة والأخرى الطّبيب ليعالج عياله، إلى أن اشتدّ بها المرض وعرفت ذلك من نفسها، وقد أصبح الزّوج يأتي مرّتين في الأسبوع مع الطّبيب، فيدخلون

الطّبيب وينتظره الزّوج المسكين وراء الباب، مع إنّه قد كتب عقد صداقه منذ عام، ومنذ أسبوع فقط لما قلت لهم "اتركوا الرّجل إلى زوجته" قاموا كلّهم في وجهي وكأنّني قد كفرت. أمّا الطّفلة فقد طلبت إلى أمّها جهارا بواسطة أختها الصّغيرة أن تلبسها كسوتها الّتي أعدّتها لها لزفافها ولو لم أتدخّل أنا في الأمر لمنعوها حتّى تلك الأمنيّة الّتي هي آخر أمنيّة لها في هاته الحياة. وبينما كانوا يلبسونها بدلتها المطرّزة كان كلّ من في البيت يحاول أن يخبّ وجهه وعيونه الملآنة دموعا، إلاّ هي فقد كانت ترتديها بعناية وكأنّها تقضي واجبا. ثمّ إنّها طلبت إليهم أن يضعوا لها مرتبة وكرسيّا عاليا كما يعملون للعرائس وكان أبوها يبكي في المطبخ فافتقدته من بين الحضور وسألت أمّها أوّل مرّة لا ثانيّة عنه إلى أن أرغمها السّعال عن النّزول فطلبت إليهم أن يحملوها إلى فراشها وهي تكاد تكون غائبة عن الوجود، ولمّا جاء والدها يعلم بوصول الطّبيب جمعت قواها وقالت له دون حياء ولا خجل:

ـ لا فائدة من الطّبيب وإنّما ضعوا ثياب عرسي هاته على الكرسيّ فوق المرتبة كما لو كنت فيها، وادخلوا سي عليّ عليها.

ففهمها الكلّ وامتلأت العيون دموعا ولكنّ أباها صبر وتماسك ريثما قال لها كلمة زجر عن تلك الأفكار السّوداء ثمّ خرج دون أن ينفّذ رغبة تلك المسكينة الميّتة.

نعم لم يدخله ولا مكّن الزّوج المنكود من رؤية زوجته بقيد الحياة حتّى إذا ماتت أخذوا يلبسونها ويزيّنونها ويرخون شعورها حول وجهها كما يفعلون لكلّ عروسة حيّة، ثمّ مددوها في زينة العرس وطلبوا للمسكين أن يرتدي بدلة عرسه الّتي أعدّها كاملة في بياضها النّاصع، ولكنّه ما كاد يصل زوجته ويميل عليها ويرى زينتها والوجه الّذي كان يحلم به حتّى سقط فوقها فاقد الرّشد.

وفوق ذلك فقد أوقفوه يقبل عزاء زوجته الّتي لم يعاشرها، فما كاد يقبل المعزّ الرّابع حتّى سقط مغشيّا عليه فأوقفوا صفّ المعزّين ريثما يستفيق.

فصحت فيهم ولم أطق صبرا على هاته العوائد الخبيثة الّتي تضطرّ ثاكلا مثل هذا لتحمّل أعباء جسيمة مثل تلك، فإنّه لو كان خلوا لشقّ عليه الانكباب على أكتاف سبعمائة معزّ فردا فردا فما بالك به وهو التّعيس الثّاكل.

أمّا اليوم فقد سبّيت الّدين هذا الصّباح. إيه سبّيت دين عمّتي الّتي ماتت ابنتها. أمّا هي فلم تجد ما تقوله لي، فإنّي لم أسبّ الدّين في حياتي، ولا عرفت منّي غير الاحترام، ولكن ماذا تريد أن أعمل؟ إنهم يخرجون الإنسان من عقله.

استفقت صباحا فوجدتهم يتحدّثون، فقمت ألبس ثيابي، وإذا بهم ينوّهون بحزن سي عليّ المسكين على زوجته وأساه. فاغتنمت تلك الفرصة وقلت لهم وبينهم خالتي:

ــ ماذا كان عليكم لو تركتم المسكين يرى زوجته قبل تلك السّاعة المشؤومة الّتي أدخلتموه فيها بينما كان يجيء يوميّا وهي حيّة تتلهّف عن رؤيته. فتموت وراء جدار البيت متشوّقة لرؤية من حصرت

أملها فيه وهو لا يزال يواسيها بصرف ماله وحاله يوميّا، فترى طبيبه وتشرب دواءه، ثمّ لا تبيحون لها رؤيته فضلا عن كلمة طيّبة يواسيها بها أو تجازيه هي بشكر عن فضله.

أتعرف بما أجابتني عمّتي؟ لقد قالت لي:

ـ تشكره هي على فضله أيّ فضل؟ إنّه كتب صداقه، وسيأخذ جهازها كاملا ليعطيه لامرأة أخرى، وهل تحسب أنّ طبيبه ودواه يجيء في عشر ذلك؟ وبعد هذا، ودونه، كيف يراها دون حفلة العرس؟ واللّه إنّكم أبناء هذا اليوم لا دين لكم.

وعند ذلك فرط منّي، وسبّبت لها دينها، وأنا انطلق إلى الشّارع تراني ظالما؟

❋❋ 6 ❋❋

المهـــاجر(*)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

* نشرت هذه القصّة بجريدة تونس بالعدد 12 من السّنة الأولى الصّادر يوم 15 سبتمبر 1936. بالصّفحتين 3 و4. بإمضاء زين العابدين السّنوسي.

قصّة رغم جودتها قد أهملها النّقد. شخصيًا لا أعرف لها مثيلا ــ على مستوى الموضوع ــ في القصّة التّونسيّة. فواقع القرصنة في تونس لم يطله خيالنا حتىّ كتابة هذه الكلمات. وهو واقع ثريّ كما نلاحظ هنا.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

لم يكن الرّايس "أحمد عيشوش" محبوبا من البحّارين الّذين يعملون معه، ولذلك كان مضطرّا دائما إلى اكتراء أناس لا يثق بهم كثيرا. وكانت زوجته نفسها لا تميل إليه، فلا غرابة أنّه هو أيضا لم يكن يكبد نفسه مشقّة تذكرها، فيسافر إلى الأقطار السّحيقة مجازفا بكلّ شيء. وفي الحقيقة فإنّه كان لا يرجع لجزيرة قرقنة إلاّ مزوّدا بالتّحف الغريبة ونوادر الأحجار الكريمة، ولكنّه كان كريما مسرفا في الكرم، وهذا ما زاد نفرة زوجته منه. فهو إذا جاء، أعطاها أكثر ممّا تطلب، ولكنّه إذا بقي، رجع عنها، فأخذ ما أعطى وأهداه للغير، فلهذا لم تأل جهدا في المرّة الأخيرة لترجعه إلى السّفر في اليوم الثّالث من وصوله.

وقد أحسّ هو بذلك فود لو لم يرجع إليها وودّ لو بقي "أحمد باشا" في الملك، إذا لرجع إلى الأسطول التّونسي حيث تمرّن وأحذق صراع البحر.

ولكنّ الدّهر قد دار دورته، ولا مناص له أن يعتمد على مركبه الّذي اشتراه على إثر انحلال

الأسطول العتيد. ولم يكن المركب قويّا مناسبا، ولكنّه هو كان قويّ العزيمة ثابت الجأش فكان يسخر من حيتان البحر ووحوشه على إثر كلّ زوبعة وماذا عساه أن يخاف، وقد أصبح البحر المتوسّط لديه معروفا حجرا حجرا وجزيرة جزيرة.

إلاّ أنّه في هاته المرّة أيقن بمصيره الغريب فقد جازف بمركبه ودخل بحر الظّلمات، وقد رأى من الرّيح الغربي أهوالا لا عهد له بها في البحر المتوسّط، ورأى من شروة البحر الهول المجسّد ما حبّب له هاته المرّة الرّجوع لبلاده والاستقرار في جزيرته، مهما كانت الأحوال البغيضة لديه.

وكان على يقين من أنّه لو طاوع الرّيح لارتطم بشواطئ شنقيط (السّينغال) فأذن بإسقاط القلوع تماما، وأخيرا لم يعد في القوس منزع فجاؤوا بالمنشار وبدأوا يقصّون الكبير والصّاري، ذلك آخر علاج يتّقون به العاصفة ويخفّفون به ضغط الرّياح... وفي نفس اللّحظة الّتي سقط الصّاري، ارتطمت المركب بشيء آخر من الجهة الغربيّة، وسمع ضجّة

مركب آخر لم يشكّ بأنّه اصطدم بـه فجـأة، وكـان الظّلام حالكا هو يعمل مع بحارته في الظّلام الدّامس، ولكنّه أحسّ بنفسه الآن قد انتقل إلى جـوف البحـر مباشرة!

لم يجد البحار وقتا للتّفكير فأخذ يعمل جهـده ليرجع إلى سطح الماء ثمّ يسير بأقصى جهـده مـع التّيار نحو الشّرق ولم يعرف أنّه كان بردانـا حتّـى شعر بالدّفء ولم يعرف أنّه قد عـيّ(*) إلاّ بعـد أن لمست رجلاه الأرض. ولمّـا وقـف أحـسّ بهـول العاصفة وبرد اللّيـل وعيـاء الجهـد، ورأى نفـسه مضطرّا إلى الانكماش حول مركز رجليه...لقد عرف أنّه فوق منبع عين سخينة تنبع في ذلك الضّحـضاح الّذي وصله، وعزّ عليه أن يتقدّم... إلى أيـن؟ هـل أمامه البحر الكبير من جديد، أو الـسّاحل بحيواناتـه وهوامه!

خدر في مكانه مستسلما للذّة الـدّفء وكانـت العاصفة هنا لا تكاد تحرّك أمواجا تثيـر اهتمامـه،

* كذا في الأصل والمقصود: تعب.

ولعلّها آخذة في السّكون. ومع ذلك فقد خسر مركبه...فهل هي الآن في قعر البحر أم قد سلمت؟ إنّ هذا الآن لا يهمّ! وما ألذّ الدّفء... وقد تذكّر الآن أيام صباه، وابتسم مرتاحا لذكراه يوم سقوطه من القنطرة الّتي وضعت بين فلكهم الكبير وصخور الشّاطئ في "قربص" فقد هوى مع حمله وكانت كيسا كبيرا من الأرز فتساقط كلّه في البحر ووقع هو معه في الشّاطئ السّخين بعين حارة هناك. وكان صاحب الأدباش ينظر صامتا لأرزه يقع طعمة باردة للحيتان ولكنّ البحارين أنقذوا الموقف بصيحة واحدة "خير...خير..."

ومع أنّ الخير ليس في إطعام البحر، فقد اتّفقت الكلمة على أنّ ذلك التّبذير خير وقال جميع النّاس:

ـ خير... الحمد للّه... في الرّوز ولا في النّساء.

والواقع فإنّ سقوط كيس الرّوز لا يمكن أن يقاس بسقوط النّساء، فلو كانت عشرة البحّارة عندما

كان يحمل إحدى النّساء اللاّتي لا يقوين على اجتياز القنطرة لكان الهول عظيما، ولكانت الفضيحة!

ذكر كلّ ذلك فابتسم للذّكرى، أيّام كان يعمل صغيرا في نقل مستحمّي العاصمة التّونسيّة إلى عيون "قربص" السّخينة فيركبهم من شواطئ رادس في البحر ويصل بهم في بضع ساعات إلى "قربص" ولو ذهبوا برّا لأضاعوا أوقاتهم الطّويلة وتعرّضوا لأخطار هائلة، ثمّ كثيرا ما يضطرّون إلى ركوب البحر أخيرا من شاطئ "سيّدي الرّئيس" قبيل كيلوميترات من حمّامات "قربص" الدّافئة... أمّا هو ــ البحّار الصّغير ــ فلم يعرف تلك الحمّامات ولم يذق دفأها إلاّ عندما سقط في ذلك اليوم بالبحر، حيث تختلط مياه العين مع مياه البحر مثلما تختلط الآن المياه السّخينة بالأمواج الباردة...لقد ظهر ضوء الصّباح سريعا ولم يعرف إذا كان قد نام مقرفصا في ذلك الضّحضاح؟ ومع أنّه يعرف نفسه لم ينم، فقد تذكّر حوادث لم تقع بالفعل! فهل هي منامة البارحة، أم هي منامة بعيدة؟ فقد كان يحسّ بأنّه قد كان حاملا

البارحة لصبيّة بضّة ناهد، وقد جاز بها القنطرة بخفّة، وشقّ لنفسه طريقا بين أهلها وذويها الّذين كانوا ينظرونه صامتين حتّى اختفى عنهم. وعندها فقط مدّت يدها إلى عنقه ورفعت وجهها إلى شفتيه وقبّلته فقبّلها... وهنا يقفّ تذكّره تماما. وهو يعرف أنّه لم يقبّل بالفعل طفلة من ذلك الضّرب، ولم يكن لذلك التّصوّر من بقيّة، فهو ولا شكّ منامة، ولكن أين كانت وهل أخذته سنة النّوم اللّيلة وبلغت به إلى درجة الأحلام اللّذيذة!

ثمّ عاوده نشاطه العقلي وأخذ يستجلي مكانه الغريب، فإذا به على جزيرة صغيرة، أمامه الشاطئ الملآن بالأدغال والأشجار العتيدة الشّامخة لا يفرق بينه وبين الأرض إلاّ مساقة صغيرة اجتازها عوما ووقف ينزع ثيابه الغليظة ويبسطها على الأغصان وقد تفقد سكّينه (الخدمي البنزرتي) واستوثق منه، وأبقاه على حزامه يمسك خرقة كبيرة قد اعتصر ماءها وستر بها عورته.

وإذاك سمع نغمة وراءه. وكنّ ثلاث فتيات سودا كواعب يسألنه. فأخذ يبيّن لهنّ الحقيقة ولكنّهنّ لم يفهمن شيئا.

وأردن أن يأخذنه معهنّ فأبى وامتنع لأنّه كان يودّ أن يعرف مصير مركبه فحاولنه كثيرا ثمّ تركنه وتغلّقن في الأدغال.

إنّه يعرف جميع لغات البحر المتوسّط من لغة "مالطة" إلى "مرسيلية" إلى "اليونان"، وقد اعتاد أن يتحدّث مع أهل الشّواطئ الإفريقيّة دائما بالعربيّة الّتي هي لغة الجميع مهما تغايرت اللّهجات وتغلّبت مخارج الحروف، ولكنّه لم يخطر له أن يقع في ورطة اليوم مع قوم لا يقولون كلمة واحدة ممّا يفهمه.

ومرّت السّاعة والسّاعتان فلم يرجعن ولم ير للمركب ظلاّ ولا رأى شيئا من ألواحها!

وأحسّ بالجوع يقطّع معدته، فالتفت إلى الغابة وهمّ بدخولها. ثمّ أخذ ثيابه فلبسها وأقبل على الأشجار يقتطف ما يسدّ به رمقه.

ومرّت العشيّة، وأقبل اللّيل فنام هناك، وهو يأسف على عدم انقياده إليهم، على أنّه كان يأمل أن تظهر له سفينة جديدة في الصّباح.

وجاء الصّباح ولم تجئ السّفينة، ولكن واحدة من الفتيات ظهرت من الغابة، يتبعها جمع كبير من الرّجال. وأخذوا يلغطون حوله، ثمّ قدموا له الماء والطّعام، فأكل بلهفة، وشرب بلهفة، وكان مظهر الرّضاء والسّلام يسود الجميع لمّا رجعوا عنه آيسين من أخذه معهم.

وفي الغد أيضا لم تظهر السّفينة، ولا أيّ سفينة أخرى، وإنّما جاءت الطّفلة مصحوبة هاته المرّة برجل واحد شيخ، وكانت تحمل معها الماء والطّعام. وأخذ الشّيخ يكلّمه، فكان يهزّ رأسه ولا يجيب بشيء، آيسا من كلّ مفاهمة مع هؤلاء السّود الّذين ضاع معهم كلّ جهد. وإذا به يسمع الشّيخ يقول له:

ــ هل أنت عربي تفهم بالعربيّة؟

ــ عربي! تونسي! قرقني.

ــ لا أفهم. قل، هل جئت...من المغرب!

ـ كلاّ جئت من كلّ مكان، وإنّما أنا تونسي.

ـ تونسي!

ـ نعم ولدت في جزيرة "قرقنة" من الجزر التّونسيّة.

ـ إنّي أعرف "فاس" وكنت سمعت بـ"القيروان" وبجامعها "الزّيتونة" في "تونس".

*****

وكانت الفتاة تكاد ترقص طربا عند شعورها بأنّ أباها أمكنه أن يتفاهم مع هذا الغريب. وكان الرّجل هنا قد زار المغرب، وهو اليوم رئيس القبيلة الدّيني، وشيخ الطّريقة "التّجانيّة". ومع ذلك فإنّ معارفه الإسلاميّة لم تكن خيرا من معلومات البحّار، وإنّما كان حفظ "أحمد عيشوش" للقرآن كلّه ومعرفته للكتابة العربيّة ميزة عظيمة رفعت من مقامه في عيني الشّيخ وأمل منه أن يرى فيه خلفا يطمئنّ به على مستقبل الدّين الإسلامي في القبيلة وعلى طريقة "الشّيخ "التّجاني" نفعنا اللّه وإياكم ببركاته".

ومع إنّ "أحمد" لم يكن يفكّر إلاّ في استجلاء سفينته أو التّلويح لأيّ سفينة تظهر في البحر، ومع إنّ "الرّايس عيشوش" لم يعرف شيئا عن الطّريقة "التّجانيّة" ولا فكّر يوما أن يكون مرشدا وداعيا لأيّ دين من الأديان... فقد أبى الشّيخ إلاّ أن يعلم علم اليقين بأنّ الرّجل مرسل من قبل اللّه والشّيخ "التّجاني" لهداية القبيلة وتعليمها القرآن والورد.

وكانت القبيلة تتردّد عليه وتتبرّك به برغم إبائه وإعلانه استغراب علمهم، خصوصا عندما رأوه يدخل البحر بركوة في يده فارغة ثمّ يبقى بها لحظة فيخرجها بماء سخن لا يكاد يبرد حتّى يصبح ماء عذبا.

وكانت الصّبيّة تأتيه كلّ يوم بالطّعام وبركوة فارغة يملؤها ماء تتخاطفه القبيلة للتّبرك والاستشفاء، ولم يلبث أن اشتهر أمر الشّيخ "عيشوش"، فزاره المرضى والضّعاف من سائر القبائل وآلوا للشّفاء من ماء بحره الحلو. ومع ذلك فقد كان لا يبيح لزواره المكث حوله والإقامة لديه، لأنّه ينظر إلى البحر سائر

يومه وجزء كبيرا من ليله لعلّ اللّه يقيض له سفينة تنقذه. ولم يفارق عادته تلك حتّى بعد أن ولدت له ابنة الشّيخ طفلة خلاسيّة ناضجة وجاءته القبيلة تهنّئه بالزّواج وترجوه أن ينتقل إليها. واقتنعت القبيلة أخيرا أنّه إنّما يعبد ربّه هناك وقال قائلهم إنّه ينظر شّيخه على سيف البحر... وأخيرا أقاموا لزوجته وطفلتهما بيتا داخل الغابة وعلى مسافة لا يصعب عليه معها الرّجوع لفراشه الممهّد عندما يتعب من النّظر إلى البحر وينزل صقيع اللّيل على مقربة من خطّ الاستواء.

*****

جلس الشّيخ "أحمد عيشوش" طول يومه مثل الأيّام قبله ومثل الأسابيع قبله ومثل الأشهر والسّنوات الماضيّة ... ينظر إلى أقصى الأفق من البحر، وأخذ قرص الشّمس يحمرّ أمامه مثل كلّ يوم ثمّ غاب قرص الشّمس وهو ينظر آخر ما تدركه عيناه من البحر ومن الأفق.

ثمّ لاحظ أخيرا سحابة بعيدة لم يعرها انتباهه الجدّي أولا وإنّما أثارت فيه ذكرى الباخرة الّتي كان يعمل عليها في أسطول "أحمد باشا" أيّام حرب القريم. وكان مكلّفا بمراقبة البحر وقد كثرت في أيامها حركات البواخر تنشر دخّانها سحابات، وكانت طرّادته "الغراب" معروفة بين جميع قطع أساطيل الحلفاء، فهي إحدى البواخر الخمسة المعيّنة لتوزيع البريد في البحر المتوسّط.

لم تلبث السّحابة أن امتدّت واتّصلت وأصبح قلبه يخفق لمنية بعيدة طالما صبر عليها، فهل آن له أن يعود لوطنه ويرى قومه وعشيرته؟

وقف على رجليه يستشرف ثمّ جلس ثمّ قام وإذا به يزداد همّه انعقادا، وإذا به يدخل الماء ثمّ يرجع على أعقابه فيجمع الحشائش والأغصان ويوقد النّار.

لقد مضى عليه وقت طويل وهو مملّ في الظّلام ويوقد النّيران على أمل أن تراه الباخرة المارة

لو كانت هناك باخرة مارة. ولكن الباخرة لم تأت ولا رأى لها أثرا، وزاد في إضرام النّار فلم يفده شيئا فسقط إعياءً.

وطلع القمر قبيل الفجر، فإذا به يرى وراءه هيكل سفينة لا تتقدّم ولا تتأخّر، فكاد يطير إليها، وقد تحقّق أمله الّذي كان يعبده منذ سنين.

وأخيرا رأى قاربا صغيرا يتقدّم منه، فلم ينتظر وصوله، وخاض له الماء، وإذا هو بثلاثة من البحّارة يأخذون بيده ليصعدوه إلى القارب، وهم يكلّمونه بالأنكليز، ثم بالإصبانيّة، فابتدرهم بأنّه تونسي غرقت سفينته هنا منذ سنوات، فإذا بأحدهم يتقدّم منه ويقول له بالفرنسيّة:

ــ سآخذك معنا، فأنت إذا من رعيّتنا.

وقال له البحّار الآخر:

ــ إنّ قنصلهم سيشكرنا على إرجاع أحد رعاياه الجدد إليه. فقال لهم "أحمد":

ــ إنّي تونسي ولست فرنسيّا.

ــ نعم ولكنّ تونس نفسها صارت تابعة لفرنسا، ألا تعرف ذلك؟

فلم يجب بشيء، ولكنّه كان يلاحظ أنّهم قد تورّطوا بين صخرتين عندما أداروا القارب، وقد أصبح من المتأكّد الرّجوع إلى الشّاطئ أيضا للخروج من حيث دخلوا. وكان يرقب ناره الّتي ضرمها تقترب منه أيضا، وعندها خطرت له فكرة أخرى جديدة، فقال:

ــ إنّي أريد أن آخذ زوجتي وابنتي.

فأوقفوا القارب على الشّاطئ ونزل هو منه قائلا:

ــ إنّ زوجتي لا تبعد عنّا إلاّ ساعة واحدة.

ــ لو مرّت أربع ساعات وطلع الفجر لذهبنا وتركناكم.

فقال:

ــ "أحسنتم" باللّغة الإصبانيّة وهو منطلق يجري ملء رجليه إلى الغابة، وقد قام في نفسه تاريخ طويل وعواطف متضاربة يغطّي عليها الجهد المجد

والإعياء، وكان نور القمر يصل من بين الأغصان المغلقة ضئيلا، ومع ذلك فهو كاف لإنارة مسربه المطروق... ووصل بيته المتواضع، فإذا بزوجته قد أفاقت وخرجت على وقع أقدامه وفي يدها ابنه الصّغير الّذي لم يكد ير أباه، حتّى قال لأوّل مرّة كلمة "بابا" جليّة واضحة فاختطفه يقبّله، بينما كانت الشّابة السّوداء تبسم لزوجها الّذي رأته لأوّل مرّة يرجع لها ركضا، فتأخذه وتدخل به، ثمّ تغلق الباب وراءها.

هي اللّيلة الأولى الّتي بات فيها "الشّيخ عيشوش" في بيته إلى ما بعد الفجر، فلم يفتح بابه إلاّ مع القيلولة.

وقد كتم في نفسه جميع ما جرى البارحة. ولمّا جاء شبّان القبيلة يحملون الطّعام، أعلمهم بأنّه آت إلى القبيلة بنفسه ليقرأ فيها فاتحة الكتاب.

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

❋❋ 7 ❋❋

فاطمة (*)

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

* نشرت هذه القصّة بمجلّة الندوة بعددها الثّالث مارس 1957. السّنة الرابعة. صفحات:45، 46، 47، 48 ، 49، 50، 51. بإمضاء زين العابدين السّنوسي. قدّم لها بـ"خرَافة من صلب تاريخ افريقيا".

هذه القصّة تجاهلها النّقد أيضا. ونلاحظ تشابه موضوعها مع روايته "بنت قصر الجمّ" فالإطار التّاريخي واحد مع اختلاف المكان واختلاف طفيف في الزّمان الفعلي للحدث. فهذه القصّة كانت مع قدوم الهلاليين ودخولهم القيروان. وموقف الكاتب منهم موقف واحد. فهو لا يرى مثل ابن خلدون أنّهم اكتسحوا البلاد كالجراد أو كالكلاب الجائعة، بل رأى فيهم وسيلة لتوحيد لسان البلاد المتلعثم المقطّع بين اللاّتينيّة والبربريّة والعربيّة.

كانت السّفرة مائدة بالأطعمة. فلا تتناول العائلة إلاّ قليلا. فلمّا تقدّمت الهرّة لأخذ حمام محمّر، رفعت البنت "فاطمة" عينيها نحو أمّها وأبيها كأنّها تسخر أو تستشهدهما على السّماح بذلك الطّعام لمن يشتهيه من مخلوقات اللّه. ولم تفر الهرّة بحمامها، بل بدأت تأكله وتميّل بتطعّمه رأسها ذات اليمين وذات الشّمال. وسط البيت المؤثّثة. فقالت "زليخا":

ــ ولكنّها وسّخت الزّربيّة.

ــ ولماذا تخافين اليوم على الزّربيّة؟

فحملقت في زوجها، ثمّ رفعت صوتها قائلة:

ــ كلا لن نخرج إلى الموت الوبيل، الشّنيع، العاجل!

والتفتت إليهما الصّبيّة بعيون مفجعة ــ فابتسم "أبو مضر السبائي"، يلطّف الموقف ويهوّنه، ثمّ قال لزوجته:

ــ ستضرب لنا "فاطم" صوتا على عودها يجلي عنّا الخوف ويفرّج عنّا هاته الوحشة.

ــ أيّ صوت؟ إلاّ نــواح المدينــة بأســرها! "القيروان" كلّها تنتحب، وأنــت تتــشهّى الأصــوات، وابنتك تبيت على دغدغة العود! لقد أقفرت "القيروان" وكلّ منكما في غيّه.

ــ إنّ خروج السّلطان "المعزّ"، بجميع الحرس عرض النّظام للخراب، وهو المسؤول أمام اللّه، عمّا وقع لكبار أهل أفريقيّة من مصائب "بنــي هــلال"... وفي تلك اللّحظة، ارتفع صوت بعيد بأنغــام بدويّــة، تنشد الرّجز الشّهير الّذي سار تتغنيه البدو و"أولع بــه أعراب الزّمان". و"أبو مضر" يحبّه ويحــبّ صــاحبه "التّراب السّوسي" (1) فهــو صــديقه وزميلــه أيــام المدارسة والهناء من قبل أن تقع الــبلاد فــي هاتــه المحنة. فعاد البشر لوجــه الكهــل. وقــال للجاريــة السّوداء الواقفة على رؤوسهم:

---

1) ــ شاعر فيديراليّة السّاحل التّونسي في القرن 5 هـ إذ أصــبح لكلّ قرية تصرّفها الّذاتي ثمّ ينتصب في مدينة سوسة مجمع عام بممثّلي تلــك القرى بصرف الشؤون العامة بزعامة رئيس هاته الفيديراليّة.

ــ ادخليها تفطر، فإنّها سوف لا توسخ الزّربيّة مثلما تفعله هرّة "فاطمة".

وبقيت "زليخاء" تزيح فتات الخبز على لوح المائدة يظهر خنصرها وهي غارقة في تصوراتها البعيدة حتّى دخلت فتاة شارخ في ملاءة بدويّة وطلعة بهيّة باسمة قد امتلأت صحّة واعتزازا، ولكنّها لم تجسر على الدّوس على فرش البيت، بل أقعت في ملعب البيت، واستجابت لمعاودة زجلها المحبوب.

سلم على ذي سلم مغنى الهوى المستغنم
واستمطر العين بها صوب دموع ودم
فهذه أطلالهم مندرسات الأرسم
وهذه عراصهم مستوحشات المعلم
كأنّهنّ أسطر في كتب لم تفهم
بعد السّرور والمنى والأمل المتمّم
والغانيات كالدّمى يسحبن كلّ معلم
من أبيض محبّر وأخضر منمّم
وأحمر معتّق وأصفر مسهّم

من كـلّ خود كحلت مقلتـها بالسّـقم
جبينها من قمـر وفرعها مـن ظـلم
وقدّها من غصـن وخـدّها من عنـدم
يـلوح في بنانها وكفّـها والمعـصم
رقم من الـوشمى في سلخ الأديـم الأرقم
تفتر عن مفـلج عذب الثّنايا شـبم
مفضّض مذهّـب مـدبّج مرسّـم
حلو اللّـما! وإنّمى لحظي جناه لا فـمي
سقيا للذّتي بـها وعيشتي المنصرم...

فقطع عليها إنشادها "أبو مضر" بابتسامة تتكلّف الطّرب وتخفي المواربة في أن تسمعه الشّطر الآخر من القصيد... وتقدّمت نحوها الوصيفة بصفحة كبيرة من الطّعام. بينما قال الكهل لابنته:

ـ أحاولت ضربها على عودك البغدادي؟

قالت: أجل يا أبي، ولكنّني لا أتـصوّر هـذا الحكم الّذي يقيمونه في "سوسة" على الجمهور وبدون رئاسة سلطان!

ــ بدون سلطان؟ حقّا. وإنّما هو قد أقيم على العدل الّذي يحرسه الأكارم من رجال القرى والبلدان كلّها. ولمجلسهم رئيسه "أبو عنان جبارة " ابن "كامل". فهو...

وكانت الأعرابيّة تنصت لهم. فكملت من قصيدتها وهي تضع الصّفحة، قاطعة أكلتها الشّهيّة، بوجه متهلّل:

جبارة بن كامل سقف النّدى والكرم
آراؤه في الحادثا ت نفذت كالأسهم
وحلمه أمنع من رضوى لكلّ مجرم
وخلقه أحسن من برء بأثر السّقم
ربوعه مأهولة بسابغات الأنعم...

*****

ولمّا دخلت "زليخاء" إلى زوجها، وحدّثها بسرّ العود شهقت فجيعة على الحلي الجميلة المثمّنة، ولكنّه أفهمها أنّ فقدانهم صياغتها وجمالها الثّمين، خير من

فقد تلك الصّياغة مع المصوغ! فهو قد أذاب ذهبها وأدخله في سلك أصحن على هيئة المواعين العاديّة التّافهة، ولم ير أحصن للحجارة الثّمينة، من يواقيت وزمرد، وحتّى من الجواهر، لم ير لها أحسن من معصم العود. فقد ثقب فيه تجويفا كبيرا وحشاها فيه وأحسن السدّ عليها وأحسن إخفاء السدّ.

وهو لا يريد أن تعرف ابنته سرّ الكنز الّذي دفنه في عودها، بل يكفيه أنّها تحرص على عودها البغدادي حرصها على الحياة "فتصونه حتّى تنتهي المحنة أو تسلك إلى دنيا الأمن من إفريقيا الممتحنة.

فقالت زوجته:

ــ ولماذا يبتلينا المشرق كلّ هذا البلاء؟

ــ اسكتي يا "زليختي". إنّ المشارقة لم يمسونا بشيء. إنّ الهفوة قد جاءت منّا نحن!

ــ منّا نحن؟ من منّا ذهب يسيء إلى مصر؟

ــ مصر لم تأت إلينا يا "زليخا". بالعكس نحن قد ذهبنا لمصر بسلطاننا ورجال التّدبير والسّياسة منذ قرن فأحسنت قبولنا واستفادت من تكتّلنا ونهضتنا

وانبعاثنا. إلاّ أنّ هذا المكان من إفريقية مازال مصدرا للحكم والتّصرّف. فقد تأصّلت الدّولة الصّنهاجيّة، وأصهرت للعلوج، وأقدمت سنة (444 هـ) على تمزيق أعلام وحدتنا مع إخواننا بمصر، فكان من الطّبيعي أن سرّحت مصر أعراب بني هلال النّازلين على أعطياتها في صحرائها الشّرقيّة، فنقلهم الخليفة "المستنصر باللّه الفاطمي".

ـ إنّنا سنّيون، وهم قد جاؤوا لإفريقيا بالخراب والدّمار.

ـ حقّا، إنّ الخليفة فاطمي والدّولة هناك شيعيّة، ولكن الأعراب الّذين جاؤونا ليسوا شيعيّين. أمّا الخراب فلم يخربوا الأمّة ولكنّهم أفسدوا نظام الدّولة الصّنهاجيّة وخرّبوا الطّبقة المحظوظة المكرّمة، حتّى اعتصم السّلطان "المعزّ" بأسوار المهديّة في حماية الأسطول البحري، تاركا القيروان للحوادث.

ـ إذا كانوا إخوانا، فلماذا نعاديهم؟ وأنت نفسك لست من صنهاجة ولم يسندوا لك حكما.

ـ لا مناص لنا بعد اليوم للفوز بأنفسنا من النزوح والهجرة، إذ لم يبق في القيروان أحد من أصحابنا الأكارم. لم يبق إلاّ أوغاد النّاس من الهمل وأصحاب الصّناعات والحرف اليوميّة... لقد خلعت أبواب الدّور والحوانيت الّتي هجرها أهلها... وسيأتي دورنا لا محالة. وفوق ذلك، فإنّنا لم نزرع شيئا ولا زرع النّاس حول القيروان، لأنّ النّظام قد انخرم ولم يعد النّاس يحترمون الملكيّة. لم يزرع أحد أرضه. وزرع الظّالمون قطعا صغيرة، حينما نزلوا من مزارع النّاس! لم يبق حكم ولا شريعة. لا مناص لنا من الخروج إلى أرض أخرى يحترم فيها النّظام.

ـ أنخرج لكي نستهدف لمن يبقرون بطني ليستخرجوا اليواقيت من أمعائي؟

ـ إنّك لن تؤمني بشيء من هذا الهراء الّذي يتقولونه.

ـ والمرأة الّتي جاؤوا بها مفريّة للحشى! البلاد كلّها تتحدّث بالوقائع وأنت وحدك مطمئنّ.

ــ ألم تكن منهوشة من الحيوان! ليس هنــاك شيء يحملنا على الإيمان بوحشيّة هؤلاء الأعــراب. إنّهم حقّا ضدّ الدّولة الــصّنهاجيّة. ولكنّنــا نعــرفهم مسلمين عربا؛ وليسوا همجا، وهم قد هــاجروا مــن الحجاز وأقاموا بأرض مصر سنوات على حــضارة النّيل وأريافه.

ــ هذا حقّ. فلماذا نريد أن نهاجر نحن مــنهم إذا؟

ــ أبوك نفسه قد هاجر.

ــ هاجر مع الملك المعزّ في ظلّ الدّولة.

ــ بل هو اليوم في أندلس بعيدا عــن الدّولــة وظلّها الصّنهاجي. وكذلك قومي وأبناء أعمامي. فقــد وصلت مكاتيبهم من العراق وقد تلقوهم هناك بالتّبجيل والتّسهيلات الّتي لم يحلموا بها في الدّولة الصّنهاجيّة بمواطننا.

ــ أنا لن أفارق داري ولا أغامر بروحي بعد أن فسد الأمن وخيف الطّريق. ثمّ أنت تطلب إلــيّ أن أخرج إلى الموت في هاته الــسّاعة النّحــسة. ومــع

هذا... ألم يقل لك ذياب أنّه قد نظّم عسسا في الطّرقات ووردت اليوم على "القيروان" غلال "جلولا" ونتائج أجنّة "رقّادة"، ولماذا لا تتعاون معهم على كتابة الدّولة العربيّة الجديدة وعلى تهدئة الأمّة وضبط النّظام!

ـ أتريدين أن أتعاون مع "ذياب" والرّياحيين؟

ـ ولم لا؟ ألم يطهّر الحكومة كلّها من الأشرار الّذين حاولوا اغتنام الهرج؟ وأمّننا.

ـ أمّننا منهم! ومن يؤمّننا من مكره؟

ـ مكره! ولماذا يمكر بنا؟ وهو الّذي حمانا ومهّد لنا الرّاحة والهناء. أو لم تتفطّن؟

ـ بماذا؟

ـ عجبا! هل خفي عليك؟

ـ ماذا؟

ـ حبّه! وقد فتحت له بيتك وبادلته الكرامة والوداد.

ـ الوداد؟ نعم فتحت له بيتي حتّى لا يفتحه هو بنفسه. إنّي أسوس الحيوان وأروّض قوّاه. أمّا الودّ

والحبّ فدرجات أخرى لا ينبغي ابتذالها في ظروفنا المخيفة.

ـ إنّك تلعب بالنّار، يا رجل! تدخل بيتك شابا بطلا منصورا، مليئا بالفضل والشّباب...

ـ ماذا تهمّك من قوّته وشبابه؟

ـ أتريدني أن أتكلّم؟ إذا فتحت عينيك جيّدا... ابنتك ليست في سني ولا هي تكرهه كلّ هذا الكره الّذي تتحدّث عنه. وماذا تريد أن أزيدك؟ إنّها هي الّتي وضعت الصّوت الّذي خرج به رجالهم يوم الجمعة بالمزامير ينغّمونه ويردّدون أبياته على نغمها الّذي وضعته هي، فاخترقوا به المدينة حتّى بلغوا جامع عقبة للقيام بصلاة الجمعة!

ـ "فاطمة"؟ ابنتي!

ـ ماذا في ذلك من ضير؟ ألم يصهر إليهم السّلطان المعزّ ببنتيه كلتيهما من قبلك!

ـ "فاطمة" ابنتي؟

ـ ماذا تنقم منها؟ أليس هو شابا مغمورا وهو حاكم البلد وأمير قومه المحنّك. وأنت نفسك كنت تقول

أنّهم مسلمون مثلنا. ولعلّهم خير منا في اتّحادهم وتناصرهم وإقدامهم على بذل دمائهم في سبيل ما يرونه حقّا. وذاك ما يقصينا ــ وكنت تقوله على المنبر لأسابيع خلت ــ عندما تنافرت قلوبنا وأفسدنا حبّ البطر والرّاحة والبذخ.

ــ ولكنّ "فاطمة"... ها أنت واثقة من حبّه لها؟ من خطبها إليك؟

*****

بعد أسبوع فقط كان صاحبنا "أبو مضر السبائي" قد رجع لإمامة الجامع الكبير. وكانت خطبة الأسبوع "فضل اللّسان العربي الّذي نزل به القرآن" وقد بيّن فيها مبلغ ما كانت عليه الأمّة الإفريقيّة من التّشتّت في الألسن، فإنّ العربيّة لا تكاد تعمّ الحواضر، واللّسان الرّوماني مازال عاما في "الجريد" و"قفصة"، واللّسان البربري مازال حتّى اليوم في جميع الجبال وحتّى حواضرها يرطن لهجاته المتأتئة أبناء القبائل البربريّة، بل إنّ الرّطانة الفارسيّة تسمع أيضا بين جدران "القيروان"! "ولعلّ اللّه قد قدر

لإفريقيّة الخير بهاته الأفواج المباركة من الأعـراب الأقحاح الّذي يفدون اليوم. ولعـلّ الـبلاد ستـصفو بازدهار لسان العرب ولغة التّنزيل فيها".

وسمع من صفوف المصلّين صـوتا يـسأله: ومتى تعقد للكريمة على والينا الجديد؟"

فأحسّ بالنّبز والجسارة، ولكنّه اطمأنّ عنـدما عرف أنّ المهوش إنّما هو أحد الشّبّان الجبناء كان لا يجسر على خطبة "فاطمة" ولا كان في المهاجرين. فلم يجبه، وتم كلّ شيء على أحسن ما يكون. فقد جـبن الشّاب عن معاودة جسارته، كما جبن عن كلّ مقاومة أو مجاهرة أو تعريض.

الفهرس

زين العابدين السنوسي: حياته وآثاره 9

ببليوغـــــرافيا 40

أهمّ الأحداث في حياة زين العابدين السّنوسي 45

الأقـــاصيـــص

1 ــ الحبيـــبة 57

2 ــ عجز أديب 67

3 ــ حديث شاب مسلم مع باريسيات حسان 77

4 ــ من ضحايا الانقلاب 87

5 ــ عزاء العـــروس 101

6 ــ المهـــاجر 111

7 ــ فاطمـــة 129

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

صدر لمعدّ ومدقق هذا الكتاب

في القصّـة القصيرة

1975 الشّركة التّونسيّة للتّوزيع	1 ــ الحلقات الملوّنة
1988 الدّار العربيّة للكتاب	2 ــ وعد الأخرس والعلاقات المتوتّرة

في الــرّواية

1976 الدّار العربيّة للكتاب	1 ــ في بيت العنكبوت
1980 دار صفاء للنّشر	2 ــ الجسد والعصا
1981 دار صفاء للنّشر	3 ــ الحركة وانتكاس الشّمس
1988 الدّار التّونسيّة للنّشر	4 ــ سفر النّقلة والتّصور
1988 الدّار التّونسيّة للنّشر	5 ــ النّاس والحجارة
1990 دار بوزيد للنّشر	6 ــ كلب السّبخة
1991 دار بوزيد للنّشر	7 ــ من حقّه أن يحلم
1993 دار بوزيد للنّشر	8 ــ ألق التّوبة
1996 الأطلسيّة للنّشر	9 ــ عودة عزّة المغتربة
1998 الأطلسيّة للنّشر	10 ــ الغربان تأتي من الغرب
2000 دار بوزيد للنّشر	11 ــ بيت لا يعرف الدّفء
2001 دار بوزيد للنّشر	12 ــ الأبنة الهشّة
2004 دار بوزيد للنّشر	13 ــ تراب على أعتاب الليل
2006 دار بوزيد للنّشر	14 ــ راحة المجنون

في الإعــداد والتّــدقيق

1985 منشورات قصص	1 ــ الرّماد. (مجموعة قصصيّة) لمحمّد العريبي
1998 الأطلسيّة للنّشر	2 ــ بنت قصر الجم (رواية) لزين العابدين السّنوسي
2007 المركز الوطني للاتصال الثّقافي – وزارة الثّقافة والمحافظة على التراث	3 ــ المهاجر (مجموعة قصصيّة) لزين العابدين السّنوسي

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

زين العابدين السنوسي

المكتبة الوطنية التونسية
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

هذا الرّجل لم يكن أبدا نكرة، حتى وإن تألّبت الظروف على إخماد جذوة نار حماسه وإسكات صوته وإطفاء سناه وإشعاعه. كذلك لا يمكن أن تطمس لهذا الرّجل معالم. لقد حمل شعار التحدّي في حياته بإنجازاته الكثيرة وإبداعاته العديدة. فإن لم نصادفه في دنيا الإبداع والخلق، فإننا نصادفه في دنيا النشر والطباعة أو في دنيا الصّحافة والتّرجمة أو في دنيا السّياسة والنّضال. ميزاته كثيرة قلّ أن اجتمعت في رجل واحد. وقد قال فيه الشّاعر المنوّر صمادح، أحد الأوفياء والمعترفين له بالجميل: "بحثت بين أهل المدينة عن الرّجل... فلم أجد رجلا لا يعرفه..."

محمد الهادي بن صالح

6،000 د.ت.